www.Olamaa.net

المجلس الإسلامي العلمائي
Olamaa Islamic Council
دائـــــرة الـثـقـافـة



اغتنام العمر

الشيخ أيوب علي حسين

اغتنام العمر

الشيخ أيوب علي حسين

هُوية الكتيِّب

الاســـــــــم: اغتنام العمر

الـتَّـــألـــيـــف: الشيخ أيوب علي حسين

الإصـــــــــدار: المجلس الإسلاميّ العلمائيّ - دائرة الثقافة

التَّدقـــيق اللُّغوي: الشَّيخ حسين الطَّويل

الـطَّـبـعـــــة: الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تصميم وإخراج: محسن الخبَّاز


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

تقديم ٧

المقدِّمة ١١

العُمر ١٥

السَّعادة في اغتنام العمر المتبقِّي ١٨

إمكانيَّة اغتنام العمر ٢٠

الفكر والحزم طريقان لاغتنام العمر ٢٢

سلاح الفكر ٢٤

سلاح الحزم والإرادة ٢٨

طُرُق تقوية الحزم ٣٠

الطَّريقة الأولى: اعرف هدف الخليقة ٣٠

الطَّريقة الثَّانية: انظر لعاقبة أفعالك ٣١

الطَّريقة الثَّالثة: قارن واقعك الفعلي بالكُمَّل ٣٢

الطَّريقة الرَّابعة: تذكَّر أنَّك ميِّتٌ لا محالةَ ٣٤

الطَّريقة الخامسة: الحياء من الله ٣٤

الطَّريقة السَّادسة: تذكر أهوال يوم القيامة والبعث والحساب ٣٥

الطَّريقة السَّابعة: التَّفكُّر في شدَّة حبِّ الله لنا ٣٨

تفعيل سلاح الحزم والإرادة ٤١

خطِّط لاغتنام عمرك ٤٤

معرفة الهدف ٤٦
لصوص العمر ٤٩
المعصية ٥٠
الانشغال بالمباحات الأوَّلية ٥٣
التَّسويف والإهمال ٥٧
تَرْك الأهم والانشغال بالمهم ٦٢
الرِّياء ٦٥
بذور اغتنام العمر ٦٩
القيام بالواجبات ٧١
اجنِ من المباحات الأجر والثَّواب ٧٣
ليكن خيارك الأكمل والأتم ٧٦
اختيارات نوعيَّة من الأعمال ٧٨
ليكن عطاؤك مستمرًّا وإنْ كنتَ ميتًا! ٨١
الباب الأوَّل: الصَّدقة الجارية ٨١
الباب الثَّاني: ما يطابق الصَّدقة الجارية في الأجر ٨٢
١. أنْ تسنَّ سنة حسنة ٨٢
٢. اغتنم النَّفحات الرَّبانية ٨٣
المشارطة والمراقبة والمحاسبة ٨٦
مقتضيات زيادة العمر ٨٩
الخاتمة ٩١
المصادر والمراجع ٩٤

تقديم

إنَّ الإنسان في هذه الحياة لم يُخلق سدى، بل خُلق ضمن إطار هندسة هذه الحياة الدَّقيقة النَّظم؛ ليعيش كباقي المخلوقات تحت نظام متكامل في هذا الوجود الرَّحب، وحتى يبلغ الغاية التي من أجلها وُجد، فيجدر به أنْ يسلك طريق أولئك الأطهار عليهم السلام الذين هم مشاعل الدَّرب، ومهندسو الطَّريق نحو محراب العبادة؛ استثمارًا لحركة التَّسامي التي خطُّوا قواعدها من لدن ربِّ السَّماوات والأرضين.

إنَّ خارطة طريق التَّسامي والسُّلوك إلى الحقِّ تبارك وتعالى لا يعرف تفاصيلها سوى أهل البيت عليهم السلام الذين هم سفن النَّجاة في اللُّجج الغامرة، والذين لم يعرفوا غير درب الله تعالى وحدَه، شِرعة ومنهاجًا، ولذا كان لهم السَّبق في ترسيم الخطى، وتحديد الحدود وفق بوصلة السَّماء، لا يحيدون عنها قَيْد أُنْملة؛ من أجل تفعيل المَلَكَات والاستعدادات المفاضة من آلاء الرَّحمن في طريق الخير والرضوان، فكان نهجهم اللاحب في استثمار سنوات العمر التي تترى رحمةً على هذا الإنسان الذي لم يخلق عبثًا، بل خُلق من أجل غاية سامية، وهدف نبيل بيَّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[1]

وهذه الغاية لا يصل إليها الإنسان إلَّا إذا اغتنم الفرصة التي منحها الله سبحانه وتعالى إيَّاه، والتي تعدُّ رأس ماله في الحياة ألا وهي هذا العمر المحدود، طويلًا كان أم قصيرًا، والذي إنْ ضيَّعه أو لم يحسن استثماره خسر آخرته، ولم يستفد من دنياه، خصوصًا وأنَّ الموت يفاجئ الإنسان في أيَّةِ لحظة دون أنْ يمهله؛ لتدارك

١. الذاريات: ٥٦.

ما فات من عمره، كما قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني لا تؤخِّر التَّوبة، فإنَّ الموت يأتي بغته».[1]

ومن هنا، فقد اغتنم كاتبُه - سماحة الشَّيخ أيوب علي حسين - الفرصةَ؛ ليسلِّط الضَّوء على طريق الاستثمار الحسن، وفق لغة تتَّسم بالوضوح والبيان، وتأخذ على عاتقها التَّدليل بالآيات والأحاديث، بل والشَّواهد الحيَّة من علماء وسالكي هذا الدَّرب ترسيمًا وتشويقًا لما يُبْتَغَى الوصول إليه.

والمجلس الإسلاميُّ العلمائيُّ - وضمن سعيه؛ لتهيئة الإنسان نفسه لاستقبال شهر التَّوبة والغفران، شهر رمضان المبارك -، قد دأب على تسمية آخر أسبوع من شهر شعبان بأسبوع نداءات التَّوبة، حيث يتكثف فيه العمل على مستوى العبادة، والدُّعاء والمناجاة؛ من أجل التَّهيئة النَّفسية والرُّوحيَّة؛ لاستقبال الشَّهر الكريم، مغتنمًا هذه الفرصة؛ ليقدم زادًا مباركًا للمؤمنين يكون خيرَ معينٍ لهم في سعيهم نحو تهذيب أنفسهم وتهيئتها روحيًّا ومعنويًّا لاستقبال شهر الله تعالى عملًا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ».[2]

المجلس الإسلامي العلمائي

دائرة الثَّقافة

١. بحار الأنوار١٣/٤٢٦، العلَّامة المجلسي، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الثالثة المصححة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢. شرح نهج البلاغة ٥/٢٤٨، ابن ميثم البحراني، تحقيق: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل، وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية، قم - إيران.

الإهداء

إلى خيرة أوصياء الله، وأقرب العباد لرسول الله،

إلى مولى الموحِّدين وأمير المؤمنين،

أُهدي هذا العمل المتواضع،

وأرجو منه التَّفضُّل

بالقَبُول.

المقدِّمة

يمكن تقسيم المؤمنين بالله وعالم الغَيب الى قسمين رئيسين:

القسم الأوَّل: هم المؤمنون المستعدُّون ليوم اللِّقاء

هؤلاء تراهم يعيشون في دار الدُّنيا قبل الآخرة براحة وطمأنينة قلبيَّة لا نظير لهما، وذلك لما حملوا في قلوبهم من اعتقادات حقَّه، جعلتهم يستشعرون بالأمن والأمان والاستقرار في كل أحوال الدُّنيا وتقلباتها من رخاء أو شدَّة، لاعتقادهم بأنَّ الله تعالى هو المتصرِّف في الكون، فاطمأنوا أنَّه لن يصيبهم إلَّا ما كتب لهم الرَّحمن الرَّحيم والخبير الحكيم.

وقد كان لهم نصيب آخر وخصوصيَّة أخرى في الدُّنيا، وهي أنَّك تجدهم في أوج وقمَّة خشوعهم وبكائهم بين يدي الله تعالى يعيشون الفرحة القصوى والسُّرور غير المتناهي، لِمَا يرون من عظيم لطف الله بهم، واختيارهم واصطفاءهم من سائر الخلق؛ لشرف مناجاته، ودعائه، والأنس به سبحانه وتعالى.

وأمَّا في الآخرة، فهؤلاء لهم الجزاء الأوفى، جزَّاء حسن استعدادهم، وحملهم الزَّاد الكافي والوافر من دار الفناء الى دار البقاء، إذ كان همُّهم الأوحد في الدُّنيا هو نيلهم أعلى مراتب رضا الله تعالى والزُّلفى لديه، فقد ترجموا عقائدهم الحقَّه بأعمالهم الجوارحيَّة والجوانحيَّة، فبذلوا كلَّ ما بوسعهم للقاء الله ﷻ، ولم يفوِّتوا لحظة واحدة أو فرصة ساحنة إلَّا وتزوَّدوا منها ليوم اللِّقاء، لذا تجد الفرحة تغمرهم بما لا يمكن وصفها، لما يجدون من عظيم لطف الله ﷻ، وجزيل

نعمـه المفاضة عليهم، وقد امتدحهم الله سبحانه تعالى قائـلًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ❖ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِـن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُـمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.[1]

القسم الثَّاني: المؤمنون غير المستعدِّين ليوم اللِّقاء

أما هؤلاء فتراهـم في دار الدُّنيا قبل الآخرة يعيشون الاضطراب والخوف في منعطفـات الحياة، وفي السَّراء او الضَّـرَّاء، ففي السَّراء يخشى فوت ما بيده، وفي الضَّراء لما هو فيه من ضرٍّ وبلاء، ولم يكن لهم نصيب يُذكر من موائد لطف الله، وكرمه بالالتذاذ والأنس به سبحانه.

وأضف على ذلـك: إنهم كلمَّا نظروا إلى عالم اللِّقاء والوفادة على الله هيمن عليهم الخوف والاضطراب من ذلك اليوم، لعلمهم بالوجدان أنَّهم لم يستعدُّوا لما هم وافدون عليه من حساب وجزاء.

وأمَّا في الآخرة، فحدِّث بـلا حرج من المصائب والويلات التي تعتريهم؛ لعدم استعدادهم الكافي، أو قلَّة زادهم.

لذا حرصًا منَّا لعدم وقوع ذلك على المؤمن، شَرَعْنَا بتدوين هذا الكتاب؛ ليغتنـم المؤمـن عمرَه لما ينفعه، ونبـيِّن له أهميَّة رأس المال هـذا، ومن ثمَّ نذكر له المـوارد التي لا ينبغي صرف العمر فيها، أو ينبغي ذلك، ومواضيع أخرى تصبُّ في اغتنـام عمره بالنَّحو الأكمـل والأتم، مراعين قدر المستطـاع التَّسلسل المنطقيَّ في طرح الأفكار والمواضيع.

---

١. البينة: ٧-٨.

أســأل الله تعــالى أنْ أكــون قــد وفِّقت لبلــوغ ذلك، بِلُغَةٍ سهلــة بسيطة تناسب المستوى الفكريَّ لشبابنا الأعزاء؛ ليكون الكتاب منطلقًا حسنًا لهم؛ للانطلاق نحو الله تعالى، واغتنام أعمارهم.

ومنه تعالى نستمدُّ العون، والتَّوفيق، والسَّداد.

الشيخ أيوب علي حسين
١٧ ربيع الأول ١٤٣٤هـ

العُمر

مـن جملة أعظـم النعم الإلهية علـى الإنسان والتي هـي في الواقع رأس مالـه الحقيقي الذي يشتري بـه سعادته أو شقائه في النشأتـين ، هو ما تفضَّل به سبحانـه وتعالى علينـا بعمرٍ يمتدُّ في الغالـب إلى سنين وعقودٍ مـن الزَّمن، فهذا العمـر هو رأسـ المال الحقيقيُّ لـكلِّ فردٍ منَّا؛ لنيـل السَّعادة والنَّجـاح، ولكن من المؤسف جدًّا أنْ نجد الكثيرين منَّا زاهدين تمام الزُّهد فيه، والقلَّة مِن النَّاس مَن يعي ذلك، ويعملون على اغتنامه كالأولياء والمبدعين والمتميِّزين في الحياة فهم مَن عرفوا حقيقةً – كما سيتَّضح في الأبحاث الآتية – قيمته، فاستفادوا، واغتنموا من أعمارهم التي أمهلهم الله تعالى في دار الدُّنيا.

وعليـه، فبقدر اغتنام الإنسان لعمره بالشَّكل الإيجابيِّ يكون بذلك القدر دون نقصيـة متميِّزًا وموفَّقًا في الحياة، بل يتعدَّى ذلـك؛ لنيل التَّميُّز في النَّشأتين معًا.

وحيـث إنَّ أكثر النَّاس والغالبيَّة السَّاحقة منهم لا يستثمرون هذه النِّعمة الرَّبانيَّة، تجدهم يعيشون ويموتون من دون أنْ تكون لهم بصمة واضحة في التَّاريخ، فيعيش نكرةً ويموت نكرة أيضًا!

أمَّـا المغتنمـون لأعمارهم، والعارفـون لقيمة أنفاسهم، تجـد أنَّ التَّاريخ يأبى إلَّا أنْ يذكرهم بتمجيدٍ وتعظيمٍ، بل يتشرَّف بذِكر أسمائهم، وعطائهم.

ومن هنا علينا أنْ نختار لأنفسنا أحد هاذين الصِّنفين، وعلى إثره ننطلق على المسار الذي يوصلنا إلى مبتغانا ورغبتنا من السَّعادة أو التَّعاسة.

ولا أتصـوَّر وجـودَ عاقـل وهبه الله تعـالى العقـلَ، وزرع في فطرته بذرةَ حـبِّ الكمـال والإبداع، يرغب أنْ يكـون نكرةً، ويعيش تعيسًـا، ويزهد أنْ يكون من المتميِّزين والأولياء وأصحاب الكمال والإبداع.

فبحكـم العقـل السَّليم، والفطـرة السَّليمة لا بدَّ للرَّاغـب في طيِّ الكمال والسَّعـادة من اغتنـام عمره بالشَّكل الأفضل والأكمل، وهـذا ما يجعلنا نستعرض جملـة مـن الرِّوايات، والحِكم الـواردة؛ لنقف، ونعرف القِيمـة الحقيقيَّة لصرف لحظـات أعمارنـا التي مَنَّ بها البـاري علينا؛ لنعيش وعيًا كامـلًا للاستفادة ممَّا بقي منها.

ورد عن مولى الموحِّدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال: «نَفَسُ المرء خُطاه إلى أجله».[1]

أي أنَّ كلَّ نفسٍ نتنفَّسه في اللَّيل والنَّهار، هو بمثابة خطوة بعد خطوة نقترب للموت والمنيَّة!

وبعبـارة أخرى: نحن بكلِّ نَفَسٍ نتنفَّسه نبتعد من الحياة، ونتقرَّب إلى الموت والرَّحيـل عـن عالم الفنـاء، فمخزون أعمارنـا وأنفاسنا مع كلِّ لحظـة تمرُّ علينا ونتنفَّـس فيهـا هو استنزاف لرصيدنا في دار الفنـاء، ونقلِّل من رصيدنا بالبقاء في دار الفناء.

وفي خطـاب آخر له عليه السلام يبيِّن هذه الحقيقة بأسلوب ثانٍ، فقال: «إنَّما أنت عـدد أيَّام، فكلُّ يوم يمضي عليك يمضي ببعضـك، فخفِّض في الطَّلب، وأجمل في المكتسب».[2]

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٠، ح ١٣١، ص ١٢٨.

٢. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١٧٨.

وقال عليه السلام أيضًا: «ما أُنقصَت ساعة من دهرك إلَّا بقطعة من عمرك». [1]

من هنا علينا أنْ نراقب رصيد أعمارنا في الحياة والذي يهدر من غير اختيارنا؛ كي لا نعيش الحسرة والنَّدامة في يوم لا تنفعنا الحسرة والنَّدامة.

١. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٧٧.

السَّعادة في اغتنام العمر المتبقِّي

قـد يهيمن الحزن علـى الإنسان ويتألَّم حينما تنكشف لـه قيمة عمره وهو لم يستفـدْ منه الاستفادة الصَّحيحة والكاملة، وقد يضجر على ما فاته من المصالح والخـيرات، ولما أهدر من رأس ماله وثروته الحقيقة فيما لا ينبغي، وهنا ينبغي أنْ نقـول لـه: إنَّ الهمَّ والضَّجرَ لن يخلقا لك السَّعـادة المنشودة، بل إنَّ هيمنة ذلك لا يزيـدك إلَّا خسرانًا وضياعًا، والحلَّ إنَّما يكمن في استثمار واغتنام العمر المتبقِّي، وهـذا هـو الطَّريق الصَّحيح والأنجع الـذي ينبغي اختياره والسَّـير فيه، بل عليك الاتِّعاض وأخـذ العبرة ممَّا مضى لمـا بقي، فـ «لو اعتبرت بمـا أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي»[1] كما ورد عن مولى الموحِّدين عليه السلام، بل يمكنك أنْ تحزن وتتضجر أيضًا على ما فاتك من العمر، ولكن احزن - إنْ شئتَ- حزنًا وألمًا ايجابيًّا لا سلبيًّـا، والإيجابـي يكمن في إعطائك لنفسك دفعة قويَّـة نحو الأمام، والحرص على عدم تضييع الوقت المتبقِّي من العمر، لا أنْ تستسلم لحزنك وضجرك فتضيِّع المتبقِّي منه أيضًا.

وهناك بشارات مولويَّة وشرعيَّة تعطي الإنسان الأمل والحركيَّة والتَّفاؤل نحو المستقبل؛ لاستثمار المتبقِّي من العمر مهما كان الماضي مظلمًا ومخزيًا، ومن جملة تلك المبشرات والدَّوافع الشَّرعيَّة؛ لاستثمار المتبقِّي من العمر ما يلي:

١. قولـه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَـاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًـا﴾[2]، فهذه الآية ونظيراتهـا تعطي الأمل بأعلى

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٣٢، ص ٥٢٩.
٢. سورة الفرقان، الآيه ٧٠.

درجاتهـا، وحركـة دافعة لـكلِّ راغب لتغيـير ماضيه الأسـود إلى ماضٍ مشرق، ومستقبـل زاهـر، حيث يستفاد من الآيـة الشَّريفة أنَّ مَن سعـى بصدقٍ وحزم في تغيـير ذاته نحو الكمـال الإلهي المنشود لا يجزى بغفران ذنوبـه فحسب، بل يبدِّل اللّه بلطفـه وكرمه تلك الذُّنوب السَّوداء إلى حسنـات نورانيَّة، وليس ذلك العطاء إلَّا لكون اللّه تعالى غفور رحيم لطيف بعباده.

٢. عن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَن أحسن فيما بقي من عمره لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومَن أساء فيما بقي من عمره أُخِذَ بالأوَّل والآخر».[١]

ولَنِعم ما قيل:

الدَّهر ساومني عمري فقلت له ... ما بعت عمري بالدنيا وما فيها

ثم اشتراه بتدريج بـلا ثمن ... تبت يدا صفقة قد خاب شاريها[٢]

١. الأمالي، الشيخ الطوسي، ح٨، ص١١١.

٢. محاسبة النفس، الشيخ إبراهيم الكفعمي، ص١١٧.

إمكانيَّة اغتنام العمر

كان العلَّامـة البرغاني عالمًـا، متعدِّد الأبعاد، وقد تـرك خلفه العشرات مـن الكتب في مختلف العلوم، هذا العـالم الجليل كان يقول: أنا حُجَّةٌ مـن حُجَجِ الباري ﷻ يوم القيامة على طلاب العلوم.

ثمَّ يشرح ذلـك بقوله: قد يُؤتى يوم القيامة ببعض الطُّلَّاب، فيقال لهم: لمـاذا لم تواصلوا التَّعلُّـم إلى المراتب العليا في الحياة الدنيـا؟، فيعتذرون بالفقر، وقلَّـة ذات اليد، فيطلـب منِّي ملائكة الحسـاب أنْ أدلي شهادتـي، فأقول: يا رب كنـتُ فقيرًا إلى درجة أنَّني لم أكـن أملك من المال بمقدار أنْ اشتري شيئًا بسيطًا مـن الزَّيـت لأستضيئ به، فكنتُ آخـذ الكتب إلى حمَّام المدرسـة، وأجلس هناك، وأقرأها، في مختلف فصول العام، بما فيها الشِّتاء القارس.

ثـمَّ يؤتى بطلَّاب آخرين، فيسألونهم عن سبـب تخلُّفهم عن الدِّراسة؟، فيقولـون: لقد ابتدأنا التَّعلُّـم متأخرين، فيؤتى بي، فأقول: يـا رب، أنا بدأت تعلُّم القراءة والكتابة وعمري ثلاثون عامًا!

ثـمَّ بأُناسـ آخريـن، ويُسْألون كمـا سُئِل مَـن سبقهم، فيقولـون: كانت مشكلتنـا أنَّنا لم نزوَّد بذكاء وقَّاد، فقـد كنَّا دون غيرنا في الفهم والإدراك، فيؤتى بـي فأقول: يا رب، أنا كنتُ ضعيفًا جدًّا في الفطنـة، فكنتُ أحتاج إلى مراجعة كلِّ درس ثلاث أو أربع مرَّات حتَّى أدرك معناه ومغزاه.

ويضيـف: أنا بدأتُ الدِّراسة متأخرًا جدًّا، وكنتُ فقيرًا، لم يكن في الفقر أحـدٌ أفقر منِّي، وقد مضى عليَّ برهة لم أقـدر على تدبير سراج، فكنت أقرأ على

سراج بيت الخلاء، وأمَّا في قلَّة الحافظة فلم يكن أسوأ منِّي، كنتُ أضلُّ عن بيتي، وأنسى أسماء ولدي، وابتدأت بتعلُّم حروف التَّهجِّي بعد مضي ثلاثين سنة من عمري، وقد بذلت مجهودي حتَّى مَنَّ الله تعالى عليَّ بما قسم لي، فكيف لا يستطيع مَن هو أفضل منِّي فهمًا، وأكثر غنًى، وأحفظ ذاكرة، أنْ يواصل تعلَّمه حتَّى يُحقِّق مآربه»؟![1]

إنَّ هذه القصة الواقعيَّة لرجلٍ عظيمٍ لحجَّة بالفعل علينا، فهذه القصَّة تدلُّ بوضوح أنَّه يمكن للإنسان اغتنام عمره، مهما كانت الصِّعاب والمشاكل أمام الإنسان، فليس أمامَ مَن يريد تغيير حياته نحو الأفضل؛ ليغتنم ما تبقَّى من عمره إلَّا أنْ يسخِّر طاقاته نحو هدفه المنشود، ويشمِّر عن ساعديه بسلاح الفكر والحزم والإرادة؛ ليجد بعد حينٍ ثمار عمله وجهده، فإلى ذلك السِّلاح.

١. أنت أيضًا يمكنك النجاح، السيد هادي المدرسي، ص٤١.

الفكر والحزم طريقان لاغتنام العمر

يمكننـا القول: إنَّ المباحث المتقدِّمة كانت بمثابـة المقدمة والتَّمهيد لهذا البحث المصيريِّ في حياة الإنسان، إذ لا يكفي لنا؛ لنيل السَّعادة، وتحقيق أهدافنا معرفـة قيمة أعمارنا، والعلـم بضرورة اغتنام العمر، وإمكانيَّـة تغيير المسار نحو الأكمل، أو وقوفنا على قيام بعض العظماء بذلك في أواسط أعمارهم، فهذه الأمور والمعلومـات تزرع في قلوبنا الشَّـوق والرَّغبة للتَّغيير، ومعرفـة إمكانيَّة ذلك، ولكن ينبغـي أنْ نعلـم - علمًـا لا يوشوبه الشَّـكُّ أو الرَّيب - أنَّ صِرف وجـود الرَّغبة في النُّفوس لا تصـير الإنسان ناجحًـا وسعيدًا، لذا تجد أكثر النَّاس بل كلهم إلَّا مَن شـذَّ وندر، يرغب ويحب السَّعـادة والكمال والإيمان، ويطمـح في الإبداع والتَّفوُّق، ولكـن مـع ذلك تجده واقفًا محلَّـه أو شبه واقفٍ، وسرُّ ذلك، هـو أنَّه لم يشمر بعدُ عـن ساعديه، وينتظر الفَرَج، وينتظر السَّعادة والنَّجاح أنْ يطرقا بابه، وهذا وهمٌ وخيـالٌ، فالسَّعيد مَن يخلق فرص السَّعادة، والتَّعيس مَن ينتظر السَّعادة أنْ تطرق بابه، فكان غرض عرض المواضيع السَّابقة إيجاد تصوُّرٍ أوَّليٍّ لقيمة العمر؛ لتشمر أيُّهـا العزيز، عن ساعديك؛ لتخلُـقَ لنفسك فرص السَّعادة التـي تريدها وتطمح إليها، وتخلق بجهـدك وإرادتك الصُّلبة الحديديَّة كلَّ ما تنشده من كمال وسعادة وإيمان.

واعلـم أنَّ الله تعـالى وعـدك وعـد صدق وحـق لا خُلف فيـه حيث قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَـيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿وَأَنْ

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
٢. سورة الرعد، الآية ١١.

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ❖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾[1] فلا بـدَّ من بذل الجهد والطَّاقـة، وتحمُّل المشاق؛ لنيل الفيضـ الإلهيِّ، وتحصيل هاديتـه ورعايته لك، وما لم تغيِّر من واقعك وذاتك، فـلا تترقَّب الكمال والنَّجاح والإيمـان أنْ يطرقـوا بابَـك، إذ ليس للإنسـان إلَّا ما سعى إليه بجـده واجتهاده، وسوف يرى نتائج جهوده وثمرة تحمُّله المشاق عاجلًا أم آجلًا.

وقـد تسـأل بعد ذلك: فكيـف السَّبيل نحـو التَّغيير والسَّعـي نحو الكمال واغتنام العمر المتبقِّي؟

والجواب باختصار: عليك باستخدام سلاح الفكر والحزم.

فإليك التَّفيصل فيهما.

١. سورة النجم، الآيات من ٣٩-٤١.

سلاح الفكر

سـلاح الفكر والتَّأمُّل من جملة أقـوى الأسلحة التي يمكنك من خلالهما إيجـاد طفرة نوعيَّة في كيانـك ووجودك على جميع الأصعدة مـن قبيل: الرُّوحيَّة، والسُّلوكيَّـة، والإيمانيَّـة، والاجتماعيَّـة، وغـير ذلك، لـذا تجد شـدَّة تأكيد المولى سبحانه في كثير من خطاباته لنا مبرزًا أهميَّة التَّفكُّر والتَّعقُّل والتَّدبُّر، إذ أنَّ هذه الأمـور هي منشأ الأساس لطفرة الإنسان نحو الكمال الحقيقـيِّ المنشود، ومنشأً لتحـرُّره من قيود عاداته القديمة والسَّلبيَّة والتَّخلُّـق بخلق الكُمَّل والمبدعين، وبدء حياة جديدة ملؤها الصَّواب والكمال، فمثلًا تحوَّل المشرك الجاهليُّ إلى الإسلام واعتناقـه له والفناء فيه، وتحوُّله من سلوكه السَّلبيِّ الانتقامي إلى سلوك إيجابيٍّ مسالم متميِّز لم يكن لولا أنَّه تسلَّح بسلاح الفكر والتَّأمُّل، ففطن حُسْن هذا، وقُبْح ذاك.

وقـد سألـتُ شخصيًّا أحـد أعظم رجـالات بلدي - والـذي يعد مفخرة العلماء والأتقياء فيه - عن سر شخصيَّته هذه، فأجابني بتواضعٍ: إنْ كان لي شيئًا من التَّوفيق والنَّجاح في هذه الحياة، فهو رهن تأمُّلي وتدبُّري الكثِيرَيْنِ في الحياة، ومـا يؤول إليه عمري في آخر المطاف، حيث إنَّ هذا التَّأمُّل والتَّفكُّر يعطيان النَّفس طاقة رهيبة يُسهِّلان عليَّ تخطِّي الصِّعاب، وأقاومها بكلِّ طاقتي، وبروحيَّةٍ عاليَّةٍ.

وحينهـا عرفتُ قيمة تلك الخطابـات الشَّرعيَّة، ومـدى عمقها وسعتها، والتفتُ إلى كم نحن مقصرون في هذا الجانب.

مـن هنـا، متى ما أردنـا تغيير واقعنا مـن خلال اغتنـام عمرنا المتبقي والسَّعي نحو الكمال، فعلينا أنْ نغيِّر نمط حياتنا في كيفيَّة تعاطينا بعمليَّة التَّفكير، وإعطاء هذا الأمر نصيبه الأوفر، فقد قيل في الحكمة: «إذا أردت أنْ تكون عظيمًا، فقلِّـد العظماء والناجحين»[1]!، فينبغي لنـا أنْ نقلِّد هؤلاء الكبار لا سيما في منشأ امتيازهم والتَّأسِّي بهم؛ للانطلاق نحو الكمال الخُلُقيِّ والإبداعيِّ، فإنَّ أوَّل طريق الإبداع والنَّجاح هو تقليدهم، لا سيما في الجوانب الجوهريَّة والضَّروريَّة كالتَّفكُّر، والذي يحتاج إليه كلُّ منشدٍ للكمال والنَّجاح؛ ليغتنم عمره المتبقِّي.

وهذه المسألة أكدت عليه الرِّوايات، فعن الإمام عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «إذا قدمت الفكر في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كلِّ أمر».[2]

وعنه عليه السلام: «مَن طالت فكرته حسنت بصيرته».[3]

وعنـه عليه السلام: «لا تخـل نفسك من فكـرة تزيدك حكمة، وعـبرة تفيدك عصمة.[4]

إذًا، يستفـاد من هذه الرِّوايات وغيرها أنَّ الطَّريق لحسن العاقبة، والنَّجاح، واغتنـام العمر هو تقديم الفكر على العمل، وعدم الغفلة، وأنَّ إدمان التَّفكُّر منشأ لانجـلاء البصيرة لدى الإنسان، فيرى الأمور كما ينبغي، فيزداد الإنسان بصيرةً في الدُّنيـا وعبرة تعصمه من الانحطاط والتَّسافل، فيكون ذلك خير طريق وسبيل لاغتنام العمر المتبقِّي.

---

١. تعلَّم كيف تنجح (عوامل النجاح): السَّيِّد هادي المدرسي ج٢، ص٢٩.
سوف تجد أيُّها القارئ العزيز، مضمون هذه الحكمة وجوهرها فيه، كما أنصحك بمطالعة الكتاب لا سيما مبحث (قلِّد النَّاجحين)، فإنه مفيد جدًّا.

٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٧،ح١٥٨٨٧،ص٥٣٨.

٣. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٧،ح١٥٨٨٩،ص٥٣٩.

٤. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٥١٩.

ولكن قد تسأل: فيمَ أفكِّر؟

وكيف أفكِّر؟

والجواب - يطول فيه، ولكن باختصار -: فكِّر، وتدبَّر في النّقاط التَّالية:

الأولى: مـا ورد عـن الإمام عليٍّ عليه السلام قوله: «إنَّ اللَّيـل والنَّهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما».[1]

لنتدبَّر هذه الحقيقة ونفكِّر فيها مليًّا، فهذه حقيقة ثابتة ومُرَّة، فاللَّيل والنَّهار يمضيـان بتنقيص من مدَّة بقائنـا في دار الدُّنيا، ونقترب إلى الأجل المحتوم شيئًا فشيئًا، لذا علينا أنْ نعي «إنَّ أنفاسك أجزاء عمرك، فلا تفنها إلَّا في طاعة ربِّك»[2] كما ورد عنه عليه السلام أيضًا.

وفي حكمـة أخـرى له عليه السلام: «مَن أفنـى عمره في غير ما ينجيـه، فقد أضاع مطلبه».[3]

فـلا بدَّ من الحرص الشَّديد في عدم ضياع العمر المتبقِّي للدُّينا الدَّنيئة، وها هي تستنزفنا من دون اختيارنا.

الثانيـة: مـا ورد عـن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله قوله: «كـنْ على عمرك أشـح منك على درهمـك ودينـارك»[4]، إذ أنَّ العمر أغلـى ثمنًا من الدِّرهـم والدِّينار، فلا ينبغي صرفـه إلَّا بمـا يساويـه قيمـة أو أغلى منـه، وإلَّا كان العمر المتبقِّـي سالك طريق الخسران أيضًا.

---

١. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١٤٤.
٢. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١٤٩.
٣. عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٥٠.
٤. الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٢٦.

الثَّالثة: لا بـدَّ مـن التَّفكير في مبادرة العمـل، واستثمار العمـر المتبقِّي فيما ينفعنـا يـوم لا ينفـع فيه إلَّا مَن أتـى الله بقلب سليـم، وعدم التَّـواني، ويدلُّ على ذلـك نصيحـة الإمام علـيٍّ عليه السلام لنا، فقد رُوي عنـه: «أيُّها النَّاس، الآن الآن ما دام الوثـاق مطلقًا، والسراج منيرًا، وباب التَّوبـة مفتوحًا من قبل أنْ يجفَّ القلم، وتُطوى الصُّحف».[1]

وبيان آخر عنه عليه السلام: «إنَّ ماضي عمرك أجل، وآتيه أمل، والوقت عمل».[2]

أما كيفيَّة التَّفكير، فسوف نشير إليها بنحو من التَّفصيل - إنْ شاء الله تعالى - تحت عنوان: «بذور اغتنام العمر».

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦،ح١٣٩٠٥،ص٥٤٠.

٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦،ح١٣٨٩٨، ص٥٣٩.

سلاح الحزم والإرادة

ورد في النَّبـويِّ الشَّريـف: «إنَّـه يفتح للعبد يوم القيامـة على كلِّ يوم من أيَّـام عمره أربعة وعشرون خزانـة - عدد ساعات اللَّيل والنَّهار -، فخزانة يجدها مملـوءة نورًا وسرورًا، فينالـه عند مشاهدتها من الفرح والسُّـرور ما لو وزِّع على أهـل النَّـار لأدهشهم عن الإحساس بألم النَّار، وهي السَّاعـة التي أطاع فيها ربَّه، ثـم يفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة، فيناله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنَّة لنغص عليهم نعيمها، وهي السَّاعة التي عصـى فيها ربَّه، ثـم يفتح له خزانة أخرى، فيراها فارغـة ليس فيها ما يسرُّه ولا مـا يسـوؤه وهي السَّاعة التي نـام فيها، أو اشتغل فيها بشيئ مـن مباحات الدُّنيا، فينالـه من الغـبن والأسف على فواتها حيث كان متمكنًا من أنْ يملاها حسنات ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿... ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ...﴾[1]».[2]

لـو لم يكن إلَّا هذا الحديـث الشَّريف لكفى بالمرءُ أنْ يحزم أمره، ويغتنم المتبقِّي من عمره، حيث هذا الحديث الشَّريف يشير إلى نقطة مهمَّة، وهي تصوير حقيقـة ما تؤول إليـه ساعاتنا التي نقضيها من اللَّيل والنَّهـار، وكيف تكون حالها وواقعهـا بالنَّظـرة الملكوتيَّـة والغَيْبِيَّـة في دار الآخرة، وتلك السَّاعـات لا تخلو من حـالات ثلاث، فهي: إمَّـا طاعة، فيستبشر بهـا حينها، وإمَّا ساعـة معصية، وإمَّا ساعة فراغ قضاها في المباحات الأوَّليَّة، وكلاهما حسرة على العبد في يوم الحسرة والنَّدامة.

---

١. سورة التغابن، الآية ٩.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧، ح ٢٦٢ ص ١٥.

فالبصير العاقل يغتنم البقيَّة من عمره، فلا يضيع ساعاته ولحظاته فيما يؤول إلى النَّدامة والحسرة، ويشمر عن ساعديه بإرادة صلبة؛ ليقطفَ ثمار تعبه لحظة وفادته على الله تعالى، فحينها يصرخ المؤمن من أمٍّ رأسه مبتهجًا مسرورًا، إذ يجد ثمار إرادته، ونتاج مخالفته لنفسه وهواه، واغتنام عمره، فتصوَّر أيُّها العزيز، ذلك المشهد من خلال المشهد القرآني، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ❖ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ❖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ❖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.[1]

وأمَّا الكسول غير المشمِّر عن ساعديه والمهمل لأوقاته وساعاته، أو انشغل فيها بالمعاصي والمخالفات الشَّرعيَّة لم يغتنم عمره، فيكون مآله كما حكى عنه الباري سبحانه في هذا المشهد: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ❖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ❖ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ❖ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ❖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ ❖ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ❖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ❖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ❖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾.[2]

فاخترْ لنفسك أيُّها العزيز، أحد هذين الطَّريقين، فأحدهما يريد منك تغيير حالك وواقعك نحو الأفضل، والآخر يريد منك الكسل والخمول وترك إرادة التَّغيير، ثمَّ انظر الى مستقبلك الحقيقيِّ والأبديِّ ما أنت صانع به، والأمر لك.

وقد ترغب في تغيير واقعك، ولكن تسأل كيف السَّبيل لتقوية الإرادة والحزم في النَّفس؛ لتحظى بالفوز والنَّعيم، وتغتنم من هذا العمر الفاني؟

واليك البيان.

---

١. سورة الحاقة، الآيات من ١٩-٢٤.

٢. سورة الحاقة، الآيات من ٢٥-٣٢.

طُرُق تقوية الحزم

هنـاك طُـرُق وأساليـب متنوِّعة تختلـف كلُّ طريقة عن الأخـرى في قوَّة تأثيرهـا مـن فردٍ لآخـر لعوامل عـدَّة، منها: اختـلاف البشر في نمـط تفكيرهم وتوجهاتهـم النَّفسيَّـة والرُّوحيَّـة، والثَّوابـت المؤثِّرة فيهـم، مع أنِّي أعتقـد أنَّ ما سنذكـره من طُرُق لا تخلو كلُّهـا من نسبة تأثير في النَّفس وإنْ اختلفت في الشِّدة والضَّعـف، ونشير بإيجاز لبعضٍ منها مستفيدين هذه الطُّرُق من الشَّريعة الغرَّاء، فخـذ منها ما يناسبـك أكثر، وتـأمَّـل فيها بعمق؛ لتكون استفادتـك منها أوفر، ومنه ﷻ نطلب العون والتَّوفيق:

الطَّريقة الأولى: اعرف هدف الخليقة

أكثرنا - للأسف - لم يتوجَّه إلى الهدف السَّامي الذي خُلِقنا من أجله في هذه النَّشأة، أو على أقل تقدير ينساه أو يتناساه، وهو: إنَّنا خُلقنا في الدُّنيا؛ لنزرع فيها، ونجني ثمارها في الآخرة، فالدُّنيا طريق سعادة آخرتنا، ومهر وصالها، فهي غـير مقصـودة أوَّلًا وبالذَّات، ولكن الكثير منَّا - للأسـف - عمل في الدُّنيا للدُّنيا، ونسـي نصيبه من الأخرى، فضيَّع نصيبه من عالم البقاء بالانشغال بعالم الفناء، فانشغـل بالوسيلـة (الدُّنيـا)، ونسي الهدف (الآخـرة)، فساوى نفسـه الشَّريفة بالحيوانـات والعجماوات التـي همُّها عَلَفها في عالم الدُّنيـا[1] إذ لا نصيب لها في الحيـاة الآخرى، ولذا تجد الكثـير من النُّصوص الشَّرعيَة تذكِّـر الإنسان بحكمة وهـدف خلـق الدُّنيا؛ كي لا يغترَّ بها، ولا يحطَّ من منزلتـه السَّامية، وتخبره بواقع الدُّنيـا؛ ليشمِّر عن ساعديه فيها؛ لينـالَ نصيبه الأوفى في الأخرى، وممَّا ورد عن

١. قـال أمـير المؤمنـين عليه السلام: «فما خلقت ليشـغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسـلة شـغلها تقممها، تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى، أو أهمل عابثًا». نهج البلاغة ٣/٧٢.

رسولنـا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في هذا الخصوص: «فليتزوَّد العبد من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، فإنَّ الدُّنيا خُلقت لكم وأنتم خُلقتم للآخرة».[1]

وعـن الإمـام علـيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ الله سبحانه قـد جعل الدُّنيا لمـا بعدها، وابتلى فيها أهلهـا؛ لِيُعْلم أيُّهم أحسن عملًا، ولسنا للدُّنيا خُلقنا، ولا بالسَّعي فيها أُمرنا».[2]

فـإذا عرف العبد هـذه الحقيقة عرف كيـف يتصرَّف في الدُّنيـا، وبأيِّ همَّـة عالية يعمل فيهـا، ولن تجده يصرف وقته وعمره في الدُّنيـا الفانية إلَّا بقدر الضَّرورة.

الطَّريقة الثَّانية: انظر لعاقبة أفعالك

تذكَّر مضمون رواية الخزائن الـ(٢٤) - التي تُفتح لأعمالك في كلِّ ساعة مـن ساعـات ليلك ونهارك - ونظائرهـا، واعلم أنَّها واقعـة لا محالة يوم العرض الأكبر على الله تعالى، فإنَّ هذا التَّذكُّر المستمرَّ يُعطيك دافعًا قويًّا للعزم والحزم؛ لاغتنام عمـرك المتبقِّي، كما ويجعلك حريصًا على وقتك وحذرًا من كلِّ فعلٍ تريد القيـام بـه، وقد رُوي عـن الإمام علـيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَن توَّرط في الأمـور بغير نظرٍ في العواقب، فقد تعرَّض للنَّوائب».[3]

إذًا، فسـرُّ ضيـاع أعمارنـا، وعـدم اغتنامنـا بالنَّحـو الأتمِّ، أو ارتكابنا للمعاصـي في الماضـي، كان نتاج غفلتنـا، أو تغافلنا عن مصـير أفعالنا ونتائجها السَّلبيَّـة في المستقبل، ولكي لا نـدم في مستقبل الأيَّام أيضًا، علينا أنْ نتأمَّل جيِّدًا في أوقاتنا وأعمالنا الحاليَّة والمستقبليَّة ونصرِّفهما في الأمور التي تنتج لنا السَّعادة

---

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٣،ح٥٧٥٣، ص٢٨٦.

٢. نهج البلاغة، من كتاب له الى معاوية، ص٤٤٦.

٣. الكافي، الشيخ الكليني ج٨، ح٤، ١٨.

لا التَّعاسة، وهذا التَّفكير والتَّدبُّر من حقِّه تقوية الإرادة والحزم فينا.

الطَّريقة الثَّالثة: قارن واقعك الفعلي بالكُمَّل

جاء في كتاب «سيماء الصَّالحين» أنَّه قال أحد المقرَّبين من الإمام الخمينيِّ (قدس سرُّه):

١- في اللَّيلة التي كنَّا متَّجهين فيها من باريس إلى إيران ... في الطَّائرة قام الإمام؛ لأداء صلاة اللَّيل، وكان يبكي بحيث إنَّ مضيِّفي الخطوط الفرنسيَّة، تعجَّبوا، وسمعت أنَّهم سألوا: هل هناك ما يؤذي الإمام؟

قلت: إنَّها عادة الإمام في كلِّ ليلة.

٢- عندما اعتُقل الإمام، ونُقل من قم إلى السِّجن في زمن الطَّاغوت صلَّى صلاة اللَّيل بحالة، بحيث قال لي فيما بعد أحد مَن كانوا مع الإمام - الظَّاهر أنَّه العقيد العصَّار -: لقد تأثرنا كثيرًا بصلاة الإمام، وظلَّ أحدنا - إلى طهران - يبكي.

٣- منذ خمسين سنة لم يترك الإمام الخميني (قدس سرُّه) صلاة اللَّيل، في حال الصِّحَّة، والمرض، في السِّجن، في الأحوال الاعتياديَّة، وأثناء النَّفي، وحتَّى على سرير المرض كان يصلِّي صلاة اللَّيل!!

مرض الإمام في قم، وبناءً على أمر الأطباء كان ينبغي أنْ ينتقل إلى طهران، وكان الجو باردًا، وكان الثَّلج والمطر يتساقطان، وكان الجليد يغطِّي الشَّوارع، بقي الإمام عدَّة ساعات في سيَّارة الإسعاف، وبعد الانتقال إلى مستشفى القلب - وفي هذه الظُّروف - صلَّى أيضًا صلاة اللَّيل.[1]

١. سيماء الصالحين، الشيخ رضى مختاري، ص ١٣٥.

لعلك قبل أنْ تقرأ هذه المقتطفات اليسيرة جدًّا عن حياة هذا الرَّجل العظيم كنت راضيًا عن نفسك في الجملة، ولكن بعد أنْ قرأتها اسمح لي أنْ أسألك هذا السُّؤال: هل أنت مرتاح من وضعك الإيماني الفعلي، ومن عبادتك؟ لا سيما إذا قارنته بمقام الشَّخصيَّات الرَّبانيَّة التي بلغت مقام العشق الالهيِّ؟

طبعًا سيكون الجواب: لا.

إذًا، هل ترغب وتطمح أنْ تكون ممَّن ينتهج نهجهم؛ لتكون واحدًا منهم بعد حين؟

فاستمع بتمام قواك العقليَّة والنَّفسية لما أقول:

اعلم، أنَّهم بشر أمثالنا تمامًا، سوى أنَّ الفرق الجوهريَّ بيننا وبينهم هو أنَّهم أرادوا - واقعًا - تغيير واقعهم، فسعوا للاستفادة من أوقاتهم ولحظاتهم بكلِّ دقَّة وحرص، في حين أنَّنا كنَّا غير مبالين بالأمر في أغلب الأوقات، بل راضون بما نحن فيه من وضع، فكانت نتيجة إرادتهم، وحزمهم لاغتنامهم لأعمارهم أنْ نالوا شرف الدُّنيا والآخرة، فكانوا في الدُّنيا عظماء، ويحشرون يوم القيامة وجهاء، وهذا مصير من حذا حذوهم، واقتدى أثرهم، ولنسعَ أنْ نكونَ منهم، أو قريبين منهم من خلال إدمان قراءة سيرة هؤلاء ومحاكاتها مع واقعنا؛ لتتولَّد لدينا حسرةٌ إيجابيَّة، مستلهمين الإرادة والحزم والهمَّة العالية منهم، ومن صمودهم أمام جميع منعطفات الحياة، فهم حجَّة علينا يوم القيامة حيث أثبتوا لنا بأنَّ الإنسان ممكن أنْ يصل الى مقام القرب والعشق لله، والأُنس به (عزَّ جلَّ) بتفعيل الإرادة والحزم فيهم، وهذا ما تدلُّ عليه النُّصوص الشَّرعيَّة، فعن الإمام علي عليه السلام: «الحازم من حنكته التَّجارب، وهذَّبته النَّوائب»[1]، فاستسقِ التَّجربة من سيرة العظماء؛ لتكون عظيمًا في مستقبل الأيَّام، أو قريبًا منهم.

١. عيون الحكم والمواعظ، ص٦٢.

الطَّريقة الرَّابعة: تذكَّر أنَّك ميِّتٌ لا محالةَ

لتقوية الإرادة والحزم، ولاغتنام ما تبقَّى من آجالنا، من المفيد الالتفات إلى المـوت الذي يطرق باب كلِّ شريف ووضيع، وشيخ ورضيع، فكلُّ مَن عليها فانٍ، وهذه حقيقة آبية عن التَّغيير والتَّبديل، فأنت تعيش مرَّة واحدة على هذا الكوكب، وأعطيـت فرصة واحدة؛ للتـزوُّد منها لدار البقاء، والفرصة هـذه لن ولن تتكرَّر، وهذه الفرصـة وسيلتك الوحيدة وسبيلك الأوحد؛ لاختيـار نوع حياتك السَّرمديَّة والأبديَّة في تلك النَّشأة، ودرجتك التي تطمح فيها.

فمـن خلال اغتنامـك لفرصتك تستطيع أنْ تختار الجنَّـة أو النَّار مقرًّا أبديًّا لك، كما من خلال هذه الفرصة المتاحة إليك الآن، وبمقدار حزمك وإرادتك تستطيـع أنْ تختـار درجتك ومقامـك فيهما، فإمَّـا في أعلا عليِّـين، وإمَّ في أسفل سافلين، مع أنَّ الأولياء والصَّالحين أبوا إلَّا أنء يختاروا أعلى العِلِّيين من الجِنان، فلم يفوِّتوا لحظة من لحظات الدُّنيا، فاختر لنفسك ما تريد بحزمك وإراتك، فقد ورد عـن النَّبـيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «يا أيُّها النَّاس، إنَّ أَكْيَسكم أكثركم ذِكرا للمـوت، وإنَّ أحزمكم أحسنكـم استعدادًا له، أَلَا وإنَّ مِـن علامات العقل التَّجافي عـن دار الغـرور، والإنابة إلى دار الخلـود، والتَّزوُّد لسكني القبـور، والتَّأهُّب ليوم النشـور»[1]، فبقدر حزمك يكون مصيرك ومقامك، فانظر ما أنت صانع بحياتك السَّرمديَّة.

الطَّريقة الخامسة: الحياء من الله

يمكنـك تقوية الحـزم والإرادة؛ لاغتنام عمرك من خلال زرع مزيدٍ من الحياء في النَّفـس مـن الله تعالى، وهناك طرق عدَّة في هذا المجال منها: أنْ تعرف أنَّ كلَّ ما في الكـون أوجده الله تعـالى إليك، وسخَّره لخدمتك، وقضـاء حوائجك الدنيويَّة،

---

١. بحار الانوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ص١٧٦.

إلَّا أنَّـا – للأسف الشَّديـد – صرنا خادمين لها بدل أنْ تكون خادمةً لنا كما خَلقها الله سبحانـه، بل الأكثر أسفًـا والأدهى: إنَّنا بِنِعم المولى نعصـي المولى سبحانه، ولم نستحـي من مقابلـة إحسانه بإساءاتنا، وهـذا التَّصرُّف والسُّلـوك من أقبح صـور القبـح كما لا يخفـى عليك، جاء في الدُّعـاء: «ولم يزل ولا يـزال ملك كريم يأتيك عنَّا بعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك أنْ تحوطنا بنعمك، وتتفضَّل علينا بآلائك، فسبحانـك ما أحلمـك وأعظمك وأكرمك مُبدئًا ومُعيـدًا، تقدَّست أسماؤك، وجلَّ ثنـاؤك، وأكـرم صنائعك وفعالك، أنت إلهـي، أوسع فضلًا، وأعظـم حلمًا من أنْ تقايسني بفعلي وخطيئتي، فالعفو العفو سيِّدي سيِّدي سيِّدي».[1]

والطَّريـق الوحيد للخـروج من هذا المـأزق صَرْف عمـرك فيما يرضيه سبحانـه وتعالى، وترنَّم بهـذه الفقرة من الدُّعاء ونظرائـه في خلواتك وسكناتك بغية بزوغ فجر جديد لحياتك مع الله تعالى.

الطَّريقة السَّادسة: تذكر أهوال يوم القيامة والبعث والحساب

عَـنْ ثُوَيْـرِ بْنِ أَبِي فَاخِتَةَ قَـالَ: سَمِعْتُ عَلِي بْنَ الْحُسَـيْنِ عليهما السلام يُحَدِّثُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّه سَمِعَ أَبَاه عَلِي بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يُحَدِّثُ النَّاسَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى النَّاسَ مِنْ حُفَرِهِمْ عُزْلاً بُهْمًا جُرْدًا مُرْدًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَسُوقُهُمُ النُّورُ، وتَجْمَعُهُمُ الظُّلْمَةُ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى عَقَبَةِ الْمَحْشَرِ، فَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ويَزْدَحِمُونَ دُونَهَا، فَيُمْنَعُونَ مِنَ الْمُضِيِّ، فَتَشْتَدُّ أَنْفَاسُهُمْ، ويَكْـثُرُ عَرَقُهُمْ، وتَضِيقُ بِهِمْ أُمُورُهُمْ، ويَشْتَدُّ ضَجِيجُهُمْ، وتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ.

---

١. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٥١٧.

قَالَ: وهُوَ أَوَّلُ هَوْلٍ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: فَيُشْرِفُ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وتَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ عَرْشِه فِي ظِلَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَأْمُرُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيُنَادِي فِيهِمْ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، أَنْصِتُوا، واسْتَمِعُوا مُنَادِيَ الْجَبَّارِ.

قَالَ: فَيَسْمَعُ آخِرُهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلُهُمْ، قَالَ: فَتَنْكَسِرُ أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وتَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ، وتَضْطَرِبُ فَرَائِصُهُمْ، وتَفْزَعُ قُلُوبُهُمْ، ويَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ الصَّوْتِ: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ...﴾[1]، قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿هذا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.[2]

قَالَ: فَيُشْرِفُ الْجَبَّارُ ﷻ الْحَكَمُ الْعَدْلُ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ لَا إِلَه إِلَّا أَنَا الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ الْيَوْمَ أَحْكُمُ بَيْنَكُمْ بِعَدْلِي وقِسْطِي، لَا يُظْلَمُ الْيَوْمَ عِنْدِي أَحَدٌ الْيَوْمَ، آخُذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ بِحَقِّه، ولِصَاحِبِ الْمَظْلِمَةِ بِالْمَظْلِمَةِ بِالْقِصَاصِ مِنَ الْحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ، وأُثِيبُ عَلَى الْهِبَاتِ، ولَا يَجُوزُ هَذِه الْعَقَبَةَ الْيَوْمَ عِنْدِي ظَالِمٌ ولِأَحَدٍ عِنْدَه مَظْلِمَةٌ إِلَّا مَظْلِمَةً يَهَبُهَا صَاحِبُهَا وأُثِيبُه عَلَيْهَا وآخُذُ لَه بِهَا عِنْدَ الْحِسَابِ، فَتَلَازَمُوا أَيُّهَا الْخَلَائِقُ، واطْلُبُوا مَظَالِمَكُمْ عِنْدَ مَنْ ظَلَمَكُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وأَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ، وكَفَى بِي شَهِيدًا، قَالَ: فَيَتَعَارَفُونَ، ويَتَلَازَمُونَ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ لَه عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلِمَةٌ أَوْ حَقٌّ إِلَّا لَزِمَه بِهَا، قَالَ: فَيَمْكُثُونَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَشْتَدُّ حَالُهُمْ، ويَكْثُرُ عَرَقُهُمْ، ويَشْتَدُّ غَمُّهُمْ، وتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ بِضَجِيجٍ شَدِيدٍ، فَيَتَمَنَّوْنَ الْمَخْلَصَ مِنْه بِتَرْكِ مَظَالِمِهِمْ لِأَهْلِهَا، قَالَ: ويَطَّلِعُ اللهُ ﷻ عَلَى جَهْدِهِمْ،

---

١. سورة القمر: ٨.

٢. سورة القمر، الآية ٨.

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى يَسْمَعُ آخِرُهُمْ كَمَا يَسْمَعُ أَوَّلُهُمْ، يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، أَنْصِتُوا لِدَاعِي اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى، واسْمَعُوا إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يَقُولُ [لَكُمْ]: أَنَا الْوَهَّابُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَوَاهَبُوا فَتَوَاهَبُوا، وإِنْ لَمْ تَوَاهَبُوا أَخَذْتُ لَكُمْ بِمَظَالِمِكُمْ، قَالَ: فَيَفْرَحُونَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ جَهْدِهِمْ، وضِيقِ مَسْلَكِهِمْ، وتَزَاحُمِهِمْ، قَالَ: فَيَهَبُ بَعْضُهُمْ مَظَالِمَهُمْ رَجَاءَ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ، ويَبْقَى بَعْضُهُمْ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَظَالِمُنَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نَهَبَهَا، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تِلْقَاءِ الْعَرْشِ: أَيْنَ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجِنَانِ جِنَانِ الْفِرْدَوْسِ، قَالَ: فَيَأْمُرُه اللهُ ﷻ أَنْ يُطْلِعَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْرًا مِنْ فِضَّةٍ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَبْنِيَةِ والْخَدَمِ، قَالَ: فَيُطْلِعُه عَلَيْهِمْ فِي حِفَافَةِ الْقَصْرِ الْوَصَائِفُ والْخَدَمُ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، فَانْظُرُوا إِلَى هَذَا الْقَصْرِ، قَالَ: فَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، فَكُلُّهُمْ يَتَمَنَّاه.

قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، هَذَا لِكُلِّ مَنْ عَفَا عَنْ مُؤْمِنٍ، قَالَ: فَيَعْفُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ.

قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: لَا يَجُوزُ إِلَى جَنَّتِيَ الْيَوْمَ ظَالِمٌ، ولَا يَجُوزُ إِلَى نَارِيَ الْيَوْمَ ظَالِمٌ ولأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَه مَظْلِمَةٌ حَتَّى يَأْخُذَهَا مِنْه عِنْدَ الْحِسَابِ.

أَيُّهَا الْخَلَائِقُ: اسْتَعِدُّوا لِلْحِسَابِ.

قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى سَبِيلُهُمْ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى الْعَقَبَةِ يَكْرُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى الْعَرْصَةِ والْجَبَّارُ تَبَارَكَ وتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ، قَدْ نُشِرَتِ الدَّوَاوِينُ، ونُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وأُحْضِرَ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ وهُمُ الأَئِمَّةُ يَشْهَدُ كُلُّ إِمَامٍ عَلَى أَهْلِ عَالَمِه بِأَنَّه قَدْ قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ ﷻ ودَعَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ اللهِ.

قَـالَ: فَقَالَ لَه رَجُلٌ مِـنْ قُرَيْشٍ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّٰه، إِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الرَّجُلِ الْكَافِرِ مَظْلِمَةٌ أَيَّ شَيْءٍ يَأْخُذُ مِنَ الْكَافِرِ وهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَـالَ: فَقَالَ لَه عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: يُطْرَحُ عَنِ الْمُسْلِمِ مِنْ سَيِّئَاتِه بِقَدْرِ مَـا لَه عَلَى الْكَافِرِ، فَيُعَذَّبُ الْكَافِرُ بِهَا مَعَ عَذَابِه بِكُفْرِه عَذَابًا بِقَدْرِ مَا لِلْمُسْلِمِ قِبَلَه مِـنْ مَظْلِمَةٍ، قَالَ: فَقَالَ لَـه الْقُرَشِيُّ: فَإِذَا كَانَتِ الْمَظْلِمَةُ لِلْمُسْلِـمِ عِنْدَ مُسْلِمٍ كَيْفَ تُؤْخَـذُ مَظْلِمَتُه مِنَ الْمُسْلِمِ؟، قَالَ: يُؤْخَذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ مِنْ حَسَنَاتِه بِقَدْرِ حَقِّ الْمَظْلُومِ، فَتُزَادُ عَلَى حَسَنَاتِ الْمَظْلُومِ.

قَـالَ فَقَالَ لَـه الْقُرَشِيُّ: فَإِنْ لَمْ يَكُـنْ لِلظَّالِمِ حَسَنَاتٌ؟، قَـالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلظَّالِمِ حَسَنَاتٌ، فَإِنَّ لِلْمَظْلُومِ سَيِّئَاتٍ يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَتُزَادُ عَلَى سَيِّئَاتِ الظَّالِمِ».[1]

الطَّريقة السَّابعة: التَّفكُّر في شدَّة حبِّ الله لنا

هناك الكثير من الدَّلائل والبراهين التي تدلُّ على عظيم حبِّ الله تعالى لعبـاده، فلو تأمَّـل المتأمِّل فيها، لمات شوقًا وحبًّا لخالقـة، ولانجذب نحوه انجذابًا منقطـع النَّظير، فيجعلـه يحلِّق في سماء طاعته وامتثال أحكامـه، وساعيًا للتَّخلُّق باخلاقة عزوجل، وآخذًا بهمَّته نحو وصاله وقربه، مغتنمًا كلَّ لحظاته وساعاته.

ولكـي يكون لنـا نصيب مـن هذا الشَّـوق والهيمان فيـه، سأشـير إلى بعض تجلِّيـات حبِّه لعباده، وشـدَّة اهتمامه بـنـا، عسى ذلـك يحركنا لتغيير مسارنـا والسَّير نحوه عزوجل:[2]

---

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٨، ح٧٩، ص١٠٣-١٠٦.

٢. اعلم أيُّها الحبيب: إنَّ العقل والشرع وسيرة العقلاء كلها تذم هجران المحب لك والمتفضل عليك دون مبررٍ، لذا يستقبحون هجران الوالدين المحبين لك، والباذلين لك كل غالٍ ونفيس، فتقابلهم بالهجران وعدم الاعتناء اليهما، فكيف إذا كان هذا الهجران مع المحبِّ الحقيقي لك، والمتفضل الحقيقي والتام عليك، ألا وهو الله تعالى؟!!!

١. قـال تعالى: «﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]، وأوحى الله إلى داود: يـا داود، لـو يعلم المُدْبِرُون عنِّي كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إليَّ، وتقطَّعت أوصالهم من محبَّتي.

يا داود، هذه إرادتي في المُدْبِرين عنِّي، فكيف إرادتي في المقبلين عليَّ.

يا داود، أحوج ما يكون العبد إليَّ إذا استغنى عنِّي، وأرحم ما أكون بعبدي إذا أَدبر عنِّي، وأجلَّ ما يكون عبدي إذا رجع إليَّ».[٢]

وقال أحدهم:

أسيئ فيجزي بالإســاءة أفضالا	**وأعصي فيولـيـنـي بـرًّا وإمهالا**
فحتى مـتـى أجفوه وهو يبرني	**وأبعـد عنه وهـو يـبـدل إيصالا**
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة	**ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا**

٢. «عبدي بحقِّك عليَّ إنِّي أحبُّك، فبحقِّي عليك أحبَّني».[٣]

٣. اعلـم أيُّهـا العزيز: إنَّ هدف بعـث الأنبياء والرُّسل هو إيجـاد العلاقة والصِّلة بينـك وبين خالقك، وإنَّ هذا - وهو إيجـاد علاقة بينك بين خالقك - وهذا الأمر يترتَّـب عليه أفضل جـزاء للأنبياء عليهم السلام، وهو أفضل لهـم من عبادة مائة سنة بصيـام نهارها، وقيام ليلها، وهذا دليل شدَّة حبِّه لنـا، بل هذا صريح النُّصوص الشَّرعيَّـة الواردة، حيث قـد أمر أنبياءه عليهم السلام ببيان شدَّة حبِّـه لعباده، عسى أنْ يلتفت بعضنا، فيرجع عمَّا كان عليه من الهجران إلى وصاله، فيكون واحدًا منهم،

١. سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
٢. المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، الشيخ فيض الكاشاني ج٨، ص٦٢.
٣. مراقبات، ميرزا جواد آغا ملكي التبريزي، ص١٨.

ففي الخبر أنَّه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: حبِّبني إلى خلقي، وحبِّب خلقي إليَّ.

قال: يا رب، كيف أفعل؟

قال: ذكِّرهم آلائي ونعمائي؛ ليحبُّوني، فلئن تردَّ آبقًا عن بابي، أو ضالًّا عن فنائي، أفضل لك من عبادة مائة سنة، بصيام نهارها، وقيام ليلها.

قال موسى عليه السلام: ومَن هذا العبد الآبق منك؟

قال: العاصي المتمرِّد.

قال: فمَن الضَّال عن فنائك؟

قال: الجاهل بإمام زمانه تُعرِّفه، والغائب عنه بعدما عرفه الجاهل بشريعة دينه، تعرِّفه شريعته، وما يعبد به ربَّه، ويتوصَّل به إلى مرضاته».[1]

أليس هذا الخطاب ونظراؤه مدعاة للتَّحرُّك نحوه دون تذبذب أو تعلل؟!

مـن تجلِّيات الحـبِّ الإلهيِّ ما تقـدَّم في بحث سابـق: من غفران الذَّنـب، وتبديل السَّيئات بالحسنات، وحيث قد تقدم جانبٌ منه، فلا نعيد كيلا نطيل.

١. مستدرك الوسائل ١٧ / ٣١٩ / ح ٢٥.

تفعيل سلاح الحزم والإرادة

أيُّهـا العزيز، بعد معرفة بعض الطُّرق المقوِّية لـلإرادة والحزم، فاعلم أنَّـه لا طريـق أمامك سـوى تفعيـل الإرادة والحزم فيمـا تريد النَّجـاح فيه ونيل غايتـك منـه، ولا يخفى عليك أنَّ الكمـال والإيمان وتحقيـق الطموحات لا تتحقَّق بالأماني والرَّغبـات والأمنيات، بل بالإرادة الحازمة القويَّـة التي تذلِّل الصِّعاب، وتحقِّـق الأمنيات، لذا «مَن أخذ بالحزم استظهر، مَـن أضاع الحزم تهوَّر»[1] كما ورد عـن الإمام عليٍّ عليه السلام، وهذه الحقيقة لم تغـب عن أعين المتميِّزين والغانمين لأعمارهـم، بـل أنَّهـم تيقَّنوا بهـذا الأصل تمام اليقـين، لذا تجدهـم شمَّروا عن سواعدهم، وحقَّقوا أمنياتهم بعد حين، وفازوا بالسَّعادة والفلاح.

ومن هنا علينا الاقتداء بهم في هذا المضمار، وتقليدهم؛ لننجح، ونفلح، ونغنم ممَّا بقي من العمر.

يقول الشَّاعر:

لأستسهلن الصَّعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمـــال إلا لصابر[2]

وقال آخر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتـأتـي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم[3]

---

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٢،ح٣٦٩١،ص٣٨٤.

٢. مغني اللبيب١/٧٦.

٣. قال المتنبي هذين البيتين ضمن قصيدة طويلة يمدح سيف الدولة، وقد سار لبناء مدينة الحدث الحمراء لحمرة بيوتها، وقلعتها على جبل الأحيدب، وذكر إيقاعه فيها بالدمستق ملك الروم وأسره صهره وابن بنته، وأقام سيف الدولة إلى أن بناها، فأنشده المتنبي يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة ٣٤٣ هـ. قبيلة تغلب٨/٦٥.

فليكن هذا شعارك كما كان شعار المفلحين والمغتنمين لأعمارهم، ولولا هذا الشِّعار وتجسيده لقتلنا طموحاتنا بسلاح الكسل والخمول والتَّسويف، وبدعوى انتظار الفرصة المناسبة، مع أنَّ الواضح أنَّه علينا خلق الفرص لا أنْ ننتظر الفرص، وأنْ نبدأ لاغتنام العُمر من اليوم، بل هذه اللحظة دون تريث أو خمول، ويدلل على ذلك، ما روي عن مولى الموحّدين عليه السلام: «أحزم النَّاس رأيًا مَن أنجز وعده، ولم يؤخر عمل يومه لغده».[1]

وعن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لمَّا سأله أبوه ما الحزم؟

قال عليه السلام: «أن تنتظر فرصتك، وتعاجل ما أمكنك»[2]، وسرُّ هذا التَّعجيل وعدم التَّسويف يبيِّنه باب مدينة علم الرَّسول عليه السلام: «أيُّها النَّاس، الآن الآن ما دام الوثاق مطلقًا، والسراج منيرًا، وباب التَّوبة مفتوحًا من قبل أنْ يجفَّ القلم، وتُطوى الصُّحف».[3]

فالفرصة الآن بيدك، وغدًا لا تدري ما الظَّروف، وما الموانع، فاغتنم ما بيدك، ودع ما ليس بيدك للمستقبل، وللقضاء، والقدر.

ثم اعلم: إنَّ كلَّ يوم تبدأ فيه، بل كلَّ لحظة منه، فهي لك، وتقترب لهدفك بقدرها، وكلَّ يوم تتأخَّر فيه فهو عليك، ويؤخِّرك من نيل أهدافك وصلاحك وطموحاتك بقدره، فالبدارِ البدارِ، والعجلَ العجلَ.

وخير ما نختم به حديثنا في هذا الحقل هو أنْ ننقل إليك ما قاله أحد أعظم شخصيَّات عالمنا المعاصر ألا وهو السَّيِّد الإمام الخميني (قدس سرُّه) حيث قال:

---

١. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٢،ح٣٧٤٧، ٣٨٩.

٢. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٤٠١.

٣. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦،ح١٣٩٠٥، ص٥٤٠.

يقـول أحـد مشايخنا أطال الله عمـره: «إنَّ العزم هو جوهـر الإنسانيَّة، ومعيار ميزة الإنسان، وأنَّ اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه».[١]

إلى أنْ يقول:

«أيُّهـا العزيز، اجتهد لتصبح ذا عـزم وإرادة، فإنَّك إذا رحلت من هذه الدُّنيـا دون أنْ يتحقَّق فيك العزم - على ترك المحرَّمـات -، فأنت إنسانٌ صوريٌّ، بـلا لبٍّ، ولن تحشـر في ذلك العالم (عالم الآخـرة) على هيئة إنسـان، لأنَّ ذلك العـالم هو محل كشـف الباطن، وظهور السَّريرة، وإنَّ التَّجـرُّؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجيًّا العزم، ويختطف منه هذا الجوهر الشَّريف.

يقـول الأستاذ المعظم (دام ظلُّـه): «إنَّ أكثر ما يسبب على فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء.

إذًا، تجنَّب يا أخي المعاصي، واعزم على الهجرة إلى الحقِّ تعالى، واجعل ظاهرك ظاهرًا إنسانيًّا، وادخل في سلك أرباب الشَّرايع، واطلب من الله تعالى في الخلـوات أنْ يكون معـك في الطَّريق لهذا الهـدف، واستشفع برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأهـل بيته عليهم السلام حتى يفيض ربُّك عليك التَّوفيـق، ويمسك بيدك في المزالق التي تعترضك، لأنَّ هناك مزالق كثيرة تعترض الإنسان أيَّام حياته، ومن الممكن أنَّه في لحظة واحدة يسقط في مزلقٍ مهلكٍ، يعجز من السَّعي لإنقاذ نفسه، بل قد لا يهتمُّ بإنقـاذ نفسه، بل ربمـا لا تشمله حتَّى شفاعة الشَّافعين، نعـوذ بالله منها»، انتهى كلامه (قدس سرُّه الشَّريف)».[٢]

١. الأربعون حديثًا، السيد الإمام الخميني (قد سره)، ص ٢٤.
٢. الأربعون حديثًا، السيد الإمام الخميني (قد سره)، ص ٢٥-٢٦.

خطِّط لاغتنام عمرك

بعد التَّوكُّل على الله تعالى، والتَّوسل بأهل بيت العصمة والطَّهارة عليهم السلام لإرادة تغيير مسار حياتك، واغتنام عمرك، وتسخيره فيما يرضي الله تعالى بوجه أكمل وأبلغ، لا بدَّ من التَّخطيط له؛ لنيل أعلى مراتب الأجر والرِّضا الإلهيِّ الممكن، وهـذا ما سنتحدث فيه فعلًا بنحوٍ مـن الإجمال، وسوف يأتي مزيد حديث عنه في الأبحاث اللَّاحقة إنْ شاء الله تعالى.

فنقول، وبه سبحانه وتعالى نستعين:

فحيـث إنَّنا قـد عرفنا أهمية رأس المال هذا، فلا بدَّ مـن التَّخطيط له بنحو واضح ودقيق؛ كي لا نتخبَّط فنفشل - لا قدَّر الله تعالى -، ونعني بالتَّخطيط الدَّقيـق هـو المعرفة الواضحـة من مفهوم اغتنـام العمر ومعناه، ومـا ينبغي فعله أو تركـه؛ للوصول لأعلى درجـة من درجات الفلاح والصَّـلاح من خلال الحفاظ علـى رأس مالنا الباقي، وسوف يتَّضح لنا أنَّ الكثير من ذلك سهل يسير، لا سيما مـع الإرادة والرَّغبـة الأكيدة الفطريَّـة الكامنة في النَّفس نحو الكمـال، والنَّجاح، والفلاح، والتَّغيير.

وخلاصة ما ينبغي التَّأكيد عليه ما يلي:

١. معرفة الهدف، أي الغاية المتوخاة من اغتنام العمر.

٢. رفـع الموانـع، أو فقل لصوص العمر، وهي الأمور التـي تقف عائقًا أساسًا أمام اغتنام العمر، وتسلب البركة والتَّوفيق منه، وهي ضد الفلاح والصَّلاح.

٣. زرع بـذور استثمـار العمـر؛ لجَنْي ثمارها بعد حين، وذلـك بالوقوف على الموارد التـي يمكننا القيام ببذرها وزرعها لجَنْـي المزيد من النَّجاح والفلاح والأجر والثَّواب؛ ليكون ذلك خير طريق وسبيل لاغتنام أعمارنا، ونيل السَّعادة والكمال.

وإليك التَّفصيل، وبه نستعين.

معرفة الهدف

ما الغاية المتوخاة من اغتنام العمر؟

تقدم سابقًا، واتَّضح أيضًا، أنَّ عمر الإنسان هو أعزُّ رأس مال يملكه، وعليه فلا بدَّ أنْ يصرفه في أهم الأمور وأنفسها، وإلَّا كان عمره هباءً منثورًا نصيبه الحرمان والخسران، وإنِّي اعتقدُ جازمًا - كما تعتقدون أيضًا - أنَّه لا يستحقُّ صرف هذا العمر إلَّا في كسب رضا الله تعالى، ونيل قُربه، حيث من خلال ذلك يمكننا أنْ نفوز ونحضى بالسَّعادة الأبديَّة والدُّنيويَّة، ولا نعني بذلك أنْ نترك الدُّنيا وما فيها أبدًا، بل نقصد من كلامنا كما قال المولى تعالى في قوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

وبعبارة أخرى: كما جاء على لسان الإمام الكاظم عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غدًا».[2]

وسوف يتَّضح - إنْ شاء الله تعالى - أنَّه لا تنافي بين العمل الدُّنيوي والاستعداد الأخروي، بل إنَّ العمل الدنيوي ما هو إلَّا طريق ومعبر؛ لبناء واستثمار الحياة الأبديَّة والخالدة.

نعم، المحظور والمنافي لاغتنام العمر أنْ نجعل الدنيا أكبر همِّنا، ومنتهى سعينا، وننسى نصيبنا من الأخرى، فتكون حركاتنا وسكناتنا للأهداف الدنيوية

---

١. سورة القصص، الآية ٧٧.

٢. مَن لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ج٣، ح٣٥٦٩، ص١٥٦.

تنبيه: هذا النص قد ورد على لسان بعض المعصومين (عليهم السَّلام) أيضًا، ونحن هنا أثبتناه كما نقله الشيخ الصدوق في كتابه الشريف.

فقط، وحينها يكون الإنسان مغبونًا خاسرًا مهما بلغ من الدُّنيا علوًّا وشأنًا ومكانة، حيث باع أغلى شيئ يملكه بما لا يبقى معه، ولم يشيد به حياته الأبديَّة والسرمديَّة، بل لعلَّه اشترى بعمره النَّار والعيش في قعر جهنم مع الفجار - والعياذ بالله تعالى -، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.[1]

فهناك الكثير من البشر مَن هم يظنون ويعتقدون أنَّهم ناجحون وسعداء وفائزون، ولكن الواقع ما هم إلَّا الأخسرون والنادمون يوم القيامة، وليس ذلك إلَّا لأنَّهم ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا، إذ أرادوا الدُّنيا للدنيا، ونسوا أو تناسوا أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة، وأنَّ اليوم عمل بلا حساب، وغدًا حساب بلا عمل، فلم يستعدُّوا للقاء الله الأكبر، فكان نتاج غفلتهم أنْ كانوا من الأخسرين أعمالًا، واقبلوا على الله خَالِين اليدين.

ولكي نحدِّد البوصلة والهدف بشكل واضح وجليٍّ؛ لاستثمار العمر المتبقِّي، نقول:

لا تنافي، ولا تزاحم في كثير من أعمال الدُّنيا بين الهدف الأخروي وإعمار الدُّنيا، بل العكس تمامًا، فكثير من الأعمال الدنيوية يمكن جعلها طريقًا لإعمار الدُّنيا والآخرة - كما سيتَّضح إنْ شاء الله تعالى -.

نعم، في بعض الموارد قد تتزاحم رغبات الإنسان الدُّنيويَّة مع الاستعداد لآخرته وتشيدها، كما لو كان الأمر المطلوب محرَّمًا شرعًا، فيجب عليه حينها تقديم الآخرة على الدُّنيا، وهذا هو أجلى موارد الذَّم في إتِّباع الدنيا والرُّكون

١. سورة الكهف، الآيتان ١٠٣-١٠٤.

لهـا، فيكون قـد استبدل الباقي بالفاني، والغالي من العمـر بالرخيص من الدنيا الزائلة، وهذا ممَّن ينطبق عليه أنَّه من الأخسرين أعمالًا.

وإليك بعض النُّصوص الرِّوائيَّة التي تدلُّ على ما أشرنا إليه:

١. عـن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «شرُّ النَّاس مَن باع آخرتـه بدنياه، وشرٌّ من ذلك مَن باع آخرته بدنيا غيره».[١]

٢. عن وصي الرَّسول عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «مَن أطاع هواه باع آخرته بدنياه».[٢]

٣. عن ابن أبي يعفور، قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّا لنحبُّ الدُّنيا.

فقال لي: تصنع بها ماذا؟

قلت: أتزوج منها، وأحجُّ، وأنفق على عيالي، وأنيل إخواني وأتصدَّق.

قال لي: ليس هذا من الدُّنيا، هذا من الآخرة».[٣]

١. مَن لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ج٤، ح٥٧٦٢، ص٣٥٢.
٢. مستدرك الوسائل، الشيخ ميرزا حسين النوري الطبرسي ج١٢، ح١٣، ص١١٥.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٠، ص٦٢.

لصوص العمر

وهي الأمور التي تقف عائقًا أساسًا ومانعًا حقيقيًّا لاغتنام العمر، وتسلب البركة والتَّوفيق منه، ولا يمكن للإنسان من اغتنام عمره، ونيل سعادته الأخرويَّة بالنَّحو الأتم إلَّا من خلال رفع تلك الموانع، والقضاء عليها، وإليك الفهرسة الأولية لبعض منها:

١. المعصية، وسلب التَّوفيق والحرمان الأخروي والدُّنيوي وهو من أقبح صور إضاعة العمر، لأنَّه بذلٌ للعمر في نقيض الغرض تمامًا.

٢. الانشغال بالمباحات الأوَّلية، والميل إلى الرَّاحة والدِّعة.

٣. التَّسويف والإهمال.

٤. ترك الأهم والانشغال بالمهم، أو عدم إنجازه بالنَّحو الأتم والأكمل.

٥. الرِّياء، وعدم الإخلاص لله ﷻ.

وإليك تفصيل الكلام بما يسع المقام، وهدف تأليف الكتاب.

المعصية

المعصيــة والذَّنــب يعدان مــن أبرز لصوص العمر وأقبحهــا، وذلك أنَّ العاصــي يلقــى الله تعالى حين يلقــاه، وهو قد مــلأ صحيفته بالذُّنــوب والمعاصي النَّتنــة، مخالفًا بذلك لأبرز حقٍّ من حقــوق ولي نعمته ﷻ[1]، متناقضًا بالكامل مع السَّعي؛ لاغتنام العمر نحو حياة راقية سرمديَّة.

فمــن المناسب للإنسان قبل القيام بأيِّ معصية أنْ يتذكَّر وقوفه بين يدي الله ﷻ، ويتصــوَّر حالــه حينها وقد ملأ صحيفته بالمعاصــي والذُّنوب، ومن هذا المنطلق، تأمَّل فيما أقول:

ما حالك وجوابك أيُّها الشَّريف، لو حاسبك الله ﷻ بعيدًا عن الخلائق يوم القيامة، وبمعزل عنهم، وقال لك، عبدي لِمَ عصيتني؟!

ألَم أنعم عليك نعمة الوجود والإيجاد بعد أنْ كنت نسيًا منسيًّا؟!

ألم أفضــل عليــك من النِّعــم الكاملة قبــل أنْ تسألني إيَّاهــا؟، وخلقتك، فجعلتــك في أحسن تقــويم؟!، وخلقتك تامًّا سويًّا، ومِــن أبوين مسلمين شريفين؟، وسخَّرتُ لك الدُّنيا وما فيها وجعلتها لخدمتك؟

أليــس جزاء الإحسان هو الإحسان بالمثــل؟!، فلمَ جازيت خير المحسنين بالإساءة؟! فأين إحسانك الذي يعود بالنَّفع إليك أوَّلًا وبالذَّات؟!

ألا تعلم أنَّه: إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم؟

---

١. حيث قد ثبت في محله بالدليلين العقلي والشــرعي بلزوم طاعة الله تعالى، ووجوب امتثال أوامره ونواهيه، أداءً لحقه المولوي.

ألا تعلم أنَّه لا تضرني طاعة مَن أطاعني، ولا معصية مَن عصاني، ولكن أردت لـك من طاعتـك إيَّاي أنْ أتمِّم لـك العطاء والإحسـان، وأنْ أخلِّدك في دار النَّعيم والعيش السَّرمديِّ في جنَّات الخلد والكرامة، فَلِم عصيتني وحرمت نفسك هذا العطاء؟!

فمن الطَّبيعي مع هذه المساءلة التي ملؤها الحبُّ والعتب ستُبكي الإنسان بدل الدَّموع دمًا.

هـذا، إنْ حاسبك سبحانه بمعزلٍ عن النَّاس والشُّهود، وأمَّا لو حاسبك أمام الملأ، وذلك كما يستفاد من النُّصوص الشَّرعيَّة، وذلك بسوء اختيارك، وقبح أعمالك قبال نعمـه اللامتناهية عليك وعلى جميع الخلائق، فنظر النَّاس إلى كلِّ كبـيرة وصغيرة ارتكبتها في دار الدُّنيا من خـير أو شر، فحينها هيهات هيهات أنْ ينفع النَّدم والبكاء والعويل، وقد أضعتَ الفرصةَ تلو الأخرى في دار الدُّنيا!

لـذا علينا جميعًا اغتنام الباقي من العمـر لصرفه فيما يسعدنا في تلك النشـأة، والتَّمسُّـك بسعة رحمتـه وبأسمائه الحسنى، عسى بفضـل جوده أنْ يمنَّ علينـا بالعفو والصَّفح الجميل كما هو ديدنـه، ولا يحاسبنا بما ارتكبناه في سالف الأزمـان، فقـد كتب علـى نفسه الرَّحمـة، وهو الغفـور الرحيم، ويحـبُّ التَّوابين، فلنتمسـك بحبِّه للتَّوابـين، ونتوب توبة نصوحًـة؛ لننجو من معاتبتـه، ومساءلته، ومعاقبته يوم لقائه، وننقذ أنفسنا من تلك المسائلة الحرجة القاصمة.

ولكـي تزهـد في الذُّنـوب بشكل عـام، لا بدَّ لـك أنْ تعلم علـم اليقين أنَّ للمعاصي والذنوب آثارًا سلبيَّة كثيرة في النَّشأتين، نشير إلى بعضها بإيجاز شديد:

١. عـن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إذا أذنب الرَّجـل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإنْ تاب انمحت، وإن زاد زادت حتَّى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبدًا».[١]

٢. عـن الإمـام عليٍّ عليه السلام: «ما جفَّت الدُّموع إلَّا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلَّا لكثرة الذُّنوب».[٢]

٣. عـن الإمـام الصَّـادق عليه السلام: «أمـا إنَّـه ليس من عـرق يضـرب، ولا نكبة ولا صـداع ولا مرض إلَّا بذنـب، وذلك قـول الله عزوجل في كتابـه: ﴿وَمَـا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ ... ﴾[٣]، ثم قال: وما يعفو الله أكثر ممَّا يؤاخذ به».[٤]

٤. عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «مَن يموت بالذُّنوب أكثر ممَّن يموت بالآجال، ومَن يعيش بالإحسان أكثر ممَّن يعيش بالأعمار».[٥]

٥. عـن الإمـام الصَّـادق عليه السلام - أيضًا -: «إنَّ لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعـين جنـة، فمتى أذنب ذنبًا [كبيرًا] رفع عنه جنة، فإذا عاب أخاه المؤمن بشيئ يعلمه منه انكشفت تلك الجنن عنه، ويبقى مهتوك الستر، فيفتضح في السَّماء على ألسنـة الملائكة، وفي الأرض على ألسنة النَّاس، ولا يرتكب ذنبًا إلَّا ذكروه، ويقول الملائكـة الموكَّلون بـه: يا ربَّنا، قد بقي عبدك مهتوك السـتر، وقد أمرتنا بحفظه، فيقـول عزوجل: ملائكتـي، لو أردت بهذا العبد خيرًا ما فضحتـه، فارفعوا أجنحتكم عنه، فوعزَّتي لا يؤول بعدها إلى خير أبدًا».[٦]

فهل بعد هذه المضار من راغب في معصية الخالق!

---

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٢،ح١٣،ص٢٧١.
٢. بحار الانوار، العلامة المجلسي ج٦٧،ح٢٤،ص٥٥.
٣. الشورى: ٣١.
٤. الكافي، الشيخ الكليني ج٢،ح١٣، ص٢٧١.ح٣، ص٢٦٨.
٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٠،ح٥٩، ص٣٥٤.
٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٠،ح٨٧، ص٣٦١.

الانشغال بالمباحات الأوَّلية

الانشغـال بالمباحـات الأوَّليَّة والميـل إلى الرَّاحة والدعة، مـن جملة أبرز لصوص العمر وأكثرها شيوعًا وانتشارًا بين المتديِّنين وغيرهم، حيث ذلك ينسجم مـع رغبات وميول الأفراد غير الطموحين، وغير المتميزين، ويعود الأمر في شيوعه وانتشـاره لأمورٍ، منها: كونـه مباحًا، وجائزًا في الدِّين ولـدى العرف الاجتماعي، فيجـد في ذلك الصالح والطالح متعته ورغبته، حيث الكثير من البشر يعتبر ذلك نحو إنجاز مقبول له، بتبرير أنَّه حين تلبسه بالمباحات لم يخالف ربَّه وولي نعمته، بل ولم يخالف العرف الاجتماعي أيضًا، فهو في مأمَنٍ من التوبيخ والزَّجر الشرعي والاجتماعي.

ولكـن يغفل هذا المسكين أنَّه يهدر أغلـى رأس ماله في أحقر الأمور قِيمة ورغبة لدى أصحاب البصيرة والفلاح، فلا يُشغِل البصير أوقاته بمثل الحاسوب، أو الألعـاب الإكترونية، أو المسلسـلات والأفلام على فرض جوازها، بل حتَّى الأكل والشـرب والنَّوم، و... إلخ، إلَّا لغرض شرعي راجح، أو عقلائي؛ لينال منها الأجر والثواب.

فالمؤمـن الواعـي دون غـيره قـد وعى قيمـة عمـره، فيتعامل مـع باقي الانشغـالات معاملة التَّاجر مع البضاعة التي يريـد أنْ يشتريها، فإنْ وجد أن هذا الفعـل يستحق بـذل شيء من أنفاسه فيـه بذل بمقدار الحاجـة ولا يزيد عليها، خشيـة الغبن والخسارة في عمره ورأس ماله، وهذا سر صيرورة حياتهم ذي بركة

وقيمــة، وهو سرُّ خلودهم وتميزهم في دار الدنيا، ولذا تشرَّف التاريخ بذكرهم في سجل أوراقه وصفحاته، ويحشر الرجل الواحد منهم أُمَّةً.

وأمَّــا نحن المغبونون حقًّا، فنفــرح ونأنس بهذه المباحات بدعوى أنَّنا غير منشغلــين بالمعصية ومحافظين على ديننا، وعرفنــا الاجتماعي، مع أنَّنا قد وقعنا في حبــال الشيطــان الرجيــم ومكائد النفــس الأمَّارة من حيث لا نشعــر، حيث إنَّ الشيطــان بعد علمه بأنَّ هذا العبد أو ذاك يستحيل أن يغلبه لإيقاعه في محرَّمٍ من المحرمــات، أو ترك واجبٍ من الواجبات، يسعى لإغوائه بطريقة ذكية وخفيَّة، من قبيل ترغيبه في الانشغال بالمباحات الأوليَّة خشيةً منه أنْ يلتفت إلى أوقات فراغه، فيتعبد فيها، أو يستفيد منها فيما يقربه إلى الله تعالى أكثر فأكثر.

والنفــس الأمَّارة - أيضًا - لها دور في التَّرغيب المتقدم، حيث إنها ميالة إلى اللعــب واللهــو مملؤة بالغفلة والسهو، فتسعى بطبيعتهــا هذه بترغيب الإنسان بالمباحــات، بدعوى أنَّك لم تعصِ المــولى وولي نعمتك، فتطلب سؤالها في المباحات الأوليَّة، وتبالغ فيها.

وبهــذا البيان المتقدم قــد يختلجك سؤال واستفهــام، وتتساءل: إلى أين يريد يأخذنا الكاتب؟!

هــل يقصــد أنْ نترك كلَّ المباحات مــن قبيل تــرك الأكل، أو الشرب، أو النوم، وغير ذلك؟!

فــإذا كان الجــواب بنعم، كما قد يفهم ذلك ممَّــا تقدم، فالأمر في غاية الصعوبة والإشكال.

فتقـول: إذًا، إلى هنـا ونكتفي من قراءة الكتاب، فقـد بلغ السيل الزُّبى، هـذا مـا لا نستطيع تركه بل الكثـير ممَّا تقدم من المباحـات لا يمكن تركها، فهي رهن حياتنا وبقائنا على وجه الارض!

والجواب: بكلٍّ بساطة، كلا، ليس كما ذهبتَ، والجواب بسيط جدًّا، وهو أنْ تواصل قراءتك معي هذه الوريقات المتبقية.

فالحـلُّ أيُّها العزيز، يكمن في الاستفادة من المباح لجني الثواب والأجر، وهذا ممكن في كثير من المباحات الأولية.

بمعنى: حينما تريد أنْ تنام - وهو من المباحات الأوَّليَّة - تنوي أنَّك تنام؛ كي تتقوى على العبادة غدًا صباحًا، ولكي تذهب إلى العمل، وتبذل قصارى جهدك فيـه، فالعمل نوع جهاد في سبيل الله تعـالى، كما ورد في الحديث الشريف: «الكادُّ علـى عياله كالمجاهد في سبيل الله»[1]، فحينها تكون قد غنمت الثَّواب والأجر من نومك المباح شرعًا، وتستطيع أيضًا أن تتوضأ قبل النوم، فيُكتب لك الأجر والثواب حتـى تستيقض منه، فقد ورد عن الإمام الصَّـادق عليه السلام قال: «مَن تطهَّر ثمَّ أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده، فإن ذَكَر أنَّه ليس على وضوء، فتيمَّم من دثاره كائنًا ما كان، لم يزل في صلاة ما ذَكَر الله عزَّ وجلَّ».[2]

وبهذا الأسلوب تنال الثَّواب من المباحات الأوَّليَّة، ولولا هذا الفعل والنِّيات الراجحـة شرعًا التي تضيفها على المباحات، لقضيت عمرك في هذه الأعمال دون أنْ تنال منها الأجر، ولم تغتنم من عمرك جيِّدًا.

---

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٥، ح١، ص٨٨.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٧، ح١٦، ص ٣٠٨.

فلـو كنت تنـام في اليوم ثماني ساعـات، وعشت من العمـر ستون سنة، فمعدل نومك عشرون سنة، وبهذا النحو من الاغتنام من فرص المباحات، صيَّرت وسخـرتَ عشرون سنة من عمـرك في الطَّاعة، ولملأت صناديـق أعمالك بالثواب بدلًا من إبقائها فارغة منه.

أليـس هـذا عرضًا جميـلًا، يجعلك تواصل القراءة معـي؛ كي نفتح معًا آفاقًا أخرى بأذن الله تعالى؟

وسوف يأتي تفصيل الكلام أكثر، حينما نتحدث عن بذور استثمار العمر وطُرُقه إنْ شاء الله تعالى.

التَّسويف والإهمال

وهو لصٌّ آخـر من لصوص العمر، وقد أشرنا في الجملة إلى أهمية هذا الأمـر تحت عنوان: «**فعِّل الحزم والإرادة**»، وهنـا سوف نشير بإذن الله تعالى إلى وجه كونـه لصًّا، ونبيِّن أعداءك والأشرار الذين يكمنـون وراءه ويدعمونه، فإليك البيان، ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق.

أمَّا وجه كونه لصًّا، فهذا واضح جدًّا بقليل من التَّأمُّل، حيث الهدف من شعـار اغتنام العمر هو الحركـة نحو خلق واقع جديد مليئ بالخيرات والإنجازات الإيجابيـة، ولا يمكن خلق إنجاز وكمـال إلَّا من خلال الحركة والفعل، وانعدامهما انعدام للإنجاز، ونيل الكمال.

فالعـدم لا يولِّد إلَّا العدم، وهـذا نظير ضم الصفر إلى صفر، فالناتج لا يكـون إلا صفـرًا، ولذا أكَّد المـولى في كثير من الموارد القرآنيـة على هذه الحقيقة وبألسن مختلفة ومتنوعة، داعيًا فيها للحركة، وترك الإهمال والخمول والتسويف، منهـا قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1]، فبقدر سعيك تنال الخير والكمال، وهذه حقيقة كونية متسالمة لدى جميع العقلاء والمتشرعة.

وفي مـوردٍ آخـر قـال تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَـوْمٍ حَتَّى يُغَـيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[2]

---

١. سورة النجم، الآية ٣٩.

٢. سورة الرعد، الآية ١١.

إذًا، نفهم أنَّ الله تعالى يريد منَّا تغيير واقعنا من التَّسويف إلى الفعل والحركة والسعي والمثابرة، فبقدر التغيير الإيجابي في النفس نرى التأييد الرباني، والتسديد منه تعالى؛ لننال مزيد توفيق ونجاح وكمال وسعادة وفلاح، فما لم نغير من واقعنا فمن الحمق والجهل المحض أن نتصور أنَّنا سنحقق شيئًا على أرض الواقع، ودليل ما قلناه وجداني، فيكفي أن ترجع إلى سيرتك الذاتية وتاريخك الماضي، وانظر في نجاحاتك مهما كانت كبيرة أو صغيرة، هل حزتها بالكسل والتسويف والإهمال؟! أم أنَّك نلتها بجدك واجتهادك وعملك وحركتك؟

اذًا، فاعلم أنَّ كلَّ الإنجازات هي على نفس الشَّاكلة، تحتاج إلى جدٍّ ومثابرة وعمل وهجران التسويف والإهمال معًا.

وأمَّا الأشرار والأعداء الذين يكمنون وراء التسويف والإهمال، فهم: الجهل، والنفس الأمَّارة، والشيطان الرجيم.

وأمَّا الجهل: فقد بيَّناه قبل قليل، وعلاجه مراجعة الوجدان وسيرة العقلاء والشرع.

وأمَّا النَّفس الأمَّارة بالسوء: فمما يدل على أنَّها وراء الإهمال والتسويف - غير ما تقدم في البحث السابق-، هو ما جاء في مجموعة من النصوص الشرعية، من قبيل ما ورد في زبور آل محمد الصحيفة السجاديَّة، حيث يبيِّن لنا الإمام زين العابدين عليه السلام خطورتها وكيفية توغلها فينا، ومواردها ومصاديق شرورها فينا، فيقول عليه السلام: «إلهي إليك أشكو نفسًا بالسُّوء أمَّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرِّضة، تسلك بي مسالك المهالك،

وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إنْ مسها الشَّرُّ تجزع، وإنْ مسها الخير تمنع، ميَّالة إلى اللعب واللَّهو، مملوءة بالغفلة والسَّهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوفني بالتَّوبة».[1]

وفي الحديث الشريف عن خير المرسلين صلى الله عليه وآله: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[2]، فهي منشأ لكثير من المشاكل الروحية والإيمانية والإخفاقات والتي تتجلى في تسويف العمل الصالح.

وأمَّا الشَّيطان الرَّجيم: فهو من جملة موانع الخير وارتقاء الإنسان نحو خالقه واغتنام عمره من خلال زرعه بذور التَّسويف والإهمال في الإنسان، وهذا أمر واضح وجليٌّ، ألم يخبرنا الباري بمقولته المشهورة؛ كي نأخذ حذرنا منه، وهي: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[5]، فهدفه اللَّعين هو أن يحاول إغوائنا بمختلف الوسائل، منها التسويف والأماني الباطلة كيلا نحقق ما عجز عن تحقيقه، فقد ورد عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ...﴾[6] صعد إبليس جبلًا بمكَّة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه!

---

١. الصحيفة السجادية، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، مناجاة الشاكين.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ص٣٦.
٣. سورة ص، الآية ٨٢.
٤. سورة النساء، الآية ١٢٠.
٥. سورة فاطر، الآية ٦.
٦. سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

فقالوا: يا سيِّدنا لِمَ دعوتنا؟

قال: نزلت هذه الآية، فمَن لها؟

فقام عفريت من الشَّياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا.

قال: لستَ لها.

فقام آخر، فقال: مثل ذلك.

فقال: لستَ لها.

فقال الوسواس الخنَّاس: أنا لها.

قال: بماذا؟

قال: أعدهم وأمنِّيهم حتَّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار.

فقال: أنت لها.

فوكَّله بها إلى يوم القيامة».[1]

أمَّا علاج التَّسويف والإهمال، والقضاء على هذا اللص ومَن هو كامن وراءه، فهو بالعمل وفق نصائح وإرشادات مَن أُعطوا جوامع الحكمة والكلم عليهم السلام.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٠، ح٦ ص١٩٧.

وهذه نبذة من كلماتهم ونصائحهم، فاستنر بها:

١. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، إيَّاك والتسويف بأملك، فإنَّك بيومك ولست بما بعده، فإنْ يكن غد لك، فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإنْ لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم».[١]

٢. عن الإمام عليٍّ عليه السلام - فيما كتبه إلى بعض أصحابه -: «فتدارك ما بقي من عمرك، ولا تقل: غدًا وبعد غد، فإنَّما هلك مَن كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف، حتَّى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون».[٢]

٣. وعنه عليه السلام: «فاتقى عبد ربَّه...، فإنَّ أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشَّيطان موكل به، يزين له المعصية؛ ليركبها، ويمنيه التَّوبة؛ ليسوِّفها، إذا هجمت منيته عليه أغفل ما يكون عنها».[٣]

٤. وعنه عليه السلام: «لا تكن ممَّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجي التَّوبة بطول الأمل . . .، إنْ عرضت له شهوة أسلف المعصية، وسوَّف التَّوبة».[٤]

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ح٣، ص٧٥.
٢. الكافي، الشيخ الكليني ج٢، ح٢٤، ص١٣٦.
٣. إرشاد القلوب، الشيخ حسن بن محمد الديلمي ج١، ص٣٢.
٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ح٣٧ص٤١٠.

تَرْك الأهم والانشغال بالمهم

وهـذا اللص هو الرَّابع من لصوص اغتنام العمر، ولا يلتفت إليه إلَّا اللبيب العاقل والمسـدَّد مـع وضوحه مـع أقل تأمُّـلٍ والتفات، فديـدن العقلاء وسيرتهـم أنَّهم لا ينشغلـون بالمهـم إلَّا مع عجزهم عن القيـام بالأهم، وإلا فالأولويـة لديهم للأهم مـلاكًا ومصلحـة دائمًا، لأنَّه يكون أنجـع طريق وأفضله؛ لنيـل المطلوب، واغتنام العمـر، وأكثر الطرق بركة واستثمارًا، فالتاجر اللبيب لا ينشغل بمشاريع تدر عليه مئات الدنانير مع استطاعته القيام بما يجلب له الآلاف أو الملايين!

نعـم، في صورة العجز، وعدم إمـكان القيام بالمشروع الأكمل يختـار الأقل كمالًا، وهكـذا ينبغي للمؤمن العـازم على اغتنام عمره، فعليـه أوَّلًا أنْ يتوجه قبل القيام بأي فعلٍ من الأفعال أو الأعمال لاختيار أفضل تلك الأعمال قيمة وتأثيرًا في ميزان حسناته؛ ليكون نصيبه من القرب الإلهي أكثر وأوفر.

وهـذا ما ينشدة العظماء والكُمَّـل من البشر ويسعون إليه، فمثلًا جاء في دعاء كميـل هذا الطلب والرغبة من أمير المؤمنـين عليه السلام، حيث يقول: «واجعلني من أحسن عبادك نصيبًا عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصهم زُلْفة لديك». [1]

وهـذا الأمـر إنَّما يتحقَّق بنحو كامل وجليٍّ حينما يختار العبد العمل الأتم والأكمل كما لا يخفى عليك.

ومـن هذا المنطلق تجـد النصوص الشرعية كثيرًا مـا ترغِّب وتحثُّ على اختيـار الأكمـل والأجزل ثوابًا من بين الأعمال؛ لنيل التَّميـز والرضا الإلهي أكثر، وهكـذا كان ولا يزال ديدن الأوليـاء مع بارئهم وخالقهم، والحديث في هذا الحقل

١. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٨٥٠.

له صور متنوعة نشير إلى ثلاث صور منها:

الصورة الأولى: ما يكون مصب الاختيار هو الأكمل من بين أمور راجحة شرعًا، واختياره موجب للوقوع في شدَّة ومشقَّة بدرجة ما، كاختيار صلاة النافلة عن قيام بدلًا عن الجلوس، وهذا الأمر راجح، والثواب فيه أجزل - كما هو واضح لديك -، ويدل على كماله مجموعة نصوص منها:

١. عن النَّبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «أفضل الأعمال أحمزها».[١]

٢. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «ما ورد عليَّ أمران قط لله فيهما طاعة إلَّا اخترت أشدَّهما على نفسي».[٢]

٣. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما خير عمار بين أمرين إلَّا اختار أشدهما على بدنه».[٢]

الصورة الثانية: إتمام العمل بالنحو الأتم والأكمل، فالصلاة مثلًا يمكنك أداؤها بالطيب ومن دونه، وبالسواك ومن بدونه، وبالخشوع ومن دونه، وهكذا، فالمؤمن يسعى لاختيار الأكمل من بين هذه الصور كأن يصلي متطيبًا مستاكًا خاشعًا لله تعالى، لعمله أنَّ ذلك موجب لمزيد ثوابٍ وقرب من الله تعالى، وإنْ استلزم من التزامه بذلك وقوعه في شيئٍ من المشقة أو التعب، روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل حتى لحَّد سعد بن معاذ، وسوَّى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولني حجرًا، ناولني ترابًا رطبًا، يسد به ما بين اللبن، فلما أنْ فرغ وحثى التُّراب عليه، وسوى قبره قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنِّي لأعلم أنَّه سيبلى، ويصل

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ص١٦١.
٢. روضة المتقين في شرح ما لا يحضره الفقيه، العلامة المجلسي ج٥، ص٥٥٣.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٣١، ص٢٠٣.

إليه البلاء، ولكن الله يحب عبدًا إذا عمل عملًا أحكمه».[١]

فإذا كان هذا تصرف النَّبيِّ الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مع قبرٍ من القبور، فكيف كان تصرفه مع العبادات من قبيل الصَّلاة وغيرها التي هي أهم ملاكًا ومصلحة من تسوية القبر، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن.

الصورة الثالثة: الاهتمام بالأحكام الالزاميَّة غاية الاهتمام، وترجيحها على المستحبَّات والسنن، فلا ينخدع بالقيام ببعض الآداب والسنن عوضًا عن الفروض والواجبات، فلا يعقل أنْ يرضى بالصدقة المستحبة عوضًا عن الصدقة الواجبة (الزكاة) أو الخمس، وبمساعدة الآخرين ماليًّا مثلًا، فيترك أداء الحج الواجب، وهكذا، حيث إنَّه لا يسد مكان الحكم الإلزامي شيءٌ من الآداب والسنن، فالسنن والآداب مهما بلغت تبقى أقل ثوابًا وجزاءً منها، لذا جاز ترك السنن ولم يجز في ذاك، وهذا من بديهيات الدين الحنيف، وقد نبَّهت النصوص الشرعية على ذلك، كما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «اعمل بفرائض الله تكن من أتقى الناس»[٢]، وأتقى النَّاس: أي اقربهم لله تعالى، وهو أكثرهم اغتنامًا للعمر كما هو جلي، وعن الإمام عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَام: «لا عبادة كأداء الفرائض»[٣]، أي: لا عبادة على نحو الكمال والتمام كأداء الفرائض.

ولك أنْ تقول: لا عبادة كاملة يغنم الإنسان منها تمام الغنم كأداء الفرائض.

وعنه عَلَيْهِ السَّلَام: «إنَّك إنْ اشتغلت بفضائل النوافل عن أداء الفرائض، فلن يقوم فضل تكسبه بفرض تضيعه».[٤]

---

١. وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي ج٣، ح٦٠، ص٢٣٠.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٨، ح١٢، ص٢٠٦.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٨، ح٢٠، ص٢٠٨.
٤. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١١٧.

الرِّياء

وعدم الإخلاص لله ﷻ

الرِّيـاء: هو آخـر لصٍّ مـن لصوص العمـر في حديثنا، وهو مـن أهمها وأخفاهـا لدى الإنسـان، مع أنَّ الرياء مـن صنع الانسان نفسـه، وأكثرنا تساهلًا معـه، مـع أن التخلص منـه، والإخلاص في العمل هـو معيار قبـول الأعمال لدى المـولى، فالمرائـي يضرب بعمله عرض الجـدار مهما كان شاقًّـا وعظيمًا، بل يلف عمل الرَّائي، ويضرب به وجه، حيث أراد بعمله غير الله تعالى.

ومعنـى الرِّياء: يبيِّنه السَّيِّد الإمام الخميني قائـلًا: «اعلم أنَّ الرِّياء هو عبـارة عـن إظهار وإبراز شيئ مـن الأعمال الصَّالحة، أو الصفـات الحميدة، أو العقائد الحقَّة الصحيحة، للناس لأجل الحصول على منزلة في قلوبهم والاشتهار بينهـم بالصـلاح والاستقامة والأمانـة والتدين، بدون نية إلهيـة صحيحة، وهذا الأمر يتحقق في عدة مقامات.

المقام الأوَّل: وله درجتان:

الأولى: وهـي أنْ يظهـر العقائد الحقَّة والمعـارف الإلهيَّة؛ من أجـل أنْ يشتهر بين النَّاس بالديانـة؛ ومن أجل الحصول علـى منزلة في القلـوب، كأن يقول: (إنِّي لا أعتـبر أنَّ هنـاك مؤثرًا في الوجـود إلا الله)، أو أنْ يقـول: (إنِّي لا أتوكَّل على أحد سـوى الله)، أو أن يثني على نفسه كناية أو إشـارة بامتلاك العقائد الحقَّة، وهذا الأسلوب هو الأكثر رواجًا، فمثلًا عندما يجري حديث عن التَّوكُّل أو الرضا بقضاء الله، يجعـل الشخص المرائي نفسـه في سلك أولئك الجمع بواسطـة تأوُّهه أو هزِّ رأسه.

الثَّانية: وهي أنْ يبعد عن نفسه العقائد الباطلة، وينزه نفسه عنها؛ لأجل الحصول على الجاه والمنزلة في القلوب، سواء أكان ذلك بصراحة القول أم بالإشارة والكناية.

المقام الثاني: وفيه أيضًا مرتبتان:

إحداهما: أنْ يظهر الخصال الحميدة والمَلَكَات الفاضلة، والأخرى: أنْ يتبرأ ممَّا يقابلها، وأنْ يزكِّي نفسه للغاية نفسها التي أصبحت معلومة.

المقام الثالث: وهو الرِّياء المعروف عند الفقهاء الماضين (رضوان الله عليهم)، وله أيضًا نفس تلكما الدرجتين:

إحداهما: أنْ يأتي بالأعمال والعبادات الشرعية، أو أن يأتي بالأمور الراجحة عقلًا، بهدف الرِّياء أمام الناس، وجلب القلوب، سواء أنْ يأتي بالعمل نفسه بقصد الرياء، أم بكيفيته، أم شرطه، أم جزئه بقصد الرياء على الشكل المذكور في كتب الفقهية.

ثانيهما: أنْ يترك عملًا محرَّمًا، أو مكروهًا بنفس الهدف المذكور».[1]

وبعد اتِّضاح معنى الرياء وأقسامه، نشير إلى بعض الروايات التي تدل على حرمته، ولزوم التخلص منه؛ كي لا يخسر الإنسان عمره بسوء تقديره واختياره:

١. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر!

قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: الرِّياء.

١. الأربعون حديثاً، السيد الامام الخميني، ص ٤٥-٤٦.

قـال: يقول اللّه ﷻ يوم القيامـة إذا جازى العباد بأعمالهـم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدُّنيا، هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم».[١]

٢. وعنـه ﷺ: «قال: «وتصعد الحفظة بعمـل العبد مبتهجًا به من خلق حسن، وصمت وذِكر كثير، تشيِّعه ملائكة السَّماوات السبعة بجماعتهم، فيطؤون الحجب كلهـا حتى يقومـوا بين يديه، فيشهـدوا له بعمـل صالح ودعاء، فيقـول اللّه: أنتم حفظـة، عمـل عبدي، وأنا رقيب علـى ما نفسه عليه، لم يردني بهـذا العمل، عليه لعنتي، فيقول الملائكة: عليه لعنتك ولعنتنا».[٢]

٣. وعنه ﷺ: «إنَّ المرائي ينادى يوم القيامة: يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، ضل عملك، وبطل أجرك، اذهب فخذ أجرك ممَّن كنت تعمل له».[٣]

٤. وعنـه ﷺ: «إنَّ أول النـاس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلت فيك حتى استشهدت.

قـال: كذبـت، ولكنَّك قاتلت؛ ليقال جريئ، فقد قيل ذلك، ثـم أُمر به فسُحِبَ على وجهه حتى ألقي في النار».[٤]

علامات المرائي

عـن الإمام عليٍّ عليه السلام: «للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحدَه، وينشط إذا كان في النَّاس، ويزيد في العمل إذا اثني عليه، وينقص منه إذا لم يثنِ عليه».[٥]

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٩، ص٢٦٦.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٧، ح٢٠، ص٢٤٨.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٩، ح١٩، ص٢٥٩.
٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ٦٧، ح٢٤، ص٢٤٩.
٥. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٤،ح٦٨٠٧، ص٣٠.

وطريق الخلاص من هذا اللص ومعضلة الرِّياء هو الإخلاص في العمل لله تعالى - رزقنا الله ذلك بجوده وكرمه -، وهذه بعض الرِّوايات في الإخلاص ترغيبًا للنَّفس؛ لتحصيله:

١. عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مخبرًا عن جبرئيل عن الله وَجَلَّ أنَّه قال: الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب مَن أحببت من عبادي». [١]

٢. وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين». [٢]

٣. وعن الإمام عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كلَّما أخلصت عملًا بلغت من الآخرة أملًا». [٣]

٤. الإمام الصَّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا بدَّ للعبد من خالص النِّيَّة في كلِّ حركة وسكون، إذ لو لم يكن بهذا المعنى يكون غافلًا، والغافلون قد وصفهم الله بقوله: ﴿... إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٤]». [٥]

٥. وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ لله تعالى عبادًا عاملوه بخالص من سره، فقابلهم بخالص من بره، فهم الذين تمر صحفهم يوم القيامة فارغًا، فإذا وقفوا بين يديه ملاها لهم من سر ما أسروا إليه.

فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟

فقال: أجلهم أنْ تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم». [٦]

اللَّهمَّ، وفِّقنا للعلم والعمل الصالح، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم.

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٢٤، ص٢٤٩.
٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٣،ح٤٧٤٥، ص٥٧.
٣. عيون الحكم والمواعظ، الشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٩٦.
٤. سورة الفرقان، الآية ٤٤.
٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٣٢، ص٢١٠.
٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧، ح٧، ص٢٥٢.

بذور اغتنام العمر

هناك بذور كثيرة وطرق عديدة مَنَّ الله بها علينا؛ لاغتنام أعمارنا، ونيل الزلفى لديه، لنحظى بالسعادة الأبدية والدنيوية، وما ذلك إلا جودًا وكرمًا منه سبحانه وتعالى، ومن جملة تجليات ذلك الجود والكرم الإلهي أنْ جعل الحسنة الواحدة بعشرة أضعافها والسيئة بواحدة، قال تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ❖ وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[1]

بل أعظم من ذلك، كما في الخبر عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله لكلِّ حسنة سبعمائة، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿... وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾[2]».[3]

وهناك ألطاف أخرى - تشويقًا منه تعالى؛ لاستثمار أعمارنا - تجاوزنا عن ذِكْرها؛ بغية الاختصار، ولما سيأتي بعضها في طيَّات حديثنا، فعلى العاقل أنْ يغتنم عمره؛ لتحصيل هذه البذور؛ ليجني ثمارها يوم لقائه بأضعاف ما كان يتصوره.

وأمَّا بذور الأعمال الصالحة الموجبة لاغتنام العمر وسعادة الإنسان، فإليك عناوينها الرئيسة، وسيأتي - إنْ شاء الله تعالى - الحديث عنها بما يناسب غرض تدوين الكتاب:

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

٢. سورة البقرة، جزء من الآية٢٦١، والآية هي: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٣. الأمالي، الشيخ الطوسي، ح٣٨، ص٢٢٤.

١. فعل الواجبات، فهو أكمل الطَّاعات، وإلا لما أوجبها علينا.

٢. تحويل المباحات إلى مستحبَّات.

٣. اختر المطلوب الأكمل والأتم.

٤. انطلق نحو اختيارات نوعيَّة.

٥. الصَّدقة الجارية.

القيام بالواجبات

ثبت - في محلِّه في علم أصول الفقه - أنَّ الأحكام الشَّرعية نتاج الملاكات الكامنة في متعلقاتها، فالمولى - على سبيل المثال - لم يوجب الصَّلاة، أو العدل علينا إلَّا لما فيهما من مصالح شديدة أبى ﷻ تركها وعدم تحصيلها، وكذلك حرَّم علينا الخمر والظلم لما فيهما من مفاسد شديدة اقتضى التَّشريع الإلهيُّ زجرنا زجرًا الزاميًّا؛ كي لا نوقع فردًا منها في عالم التَّكليف والدنيا، وهذا بخلاف الاستحباب والكراهة، فإنَّهما وإنْ كانا مشتملتين على المصلحة أو المفسدة، ولكنهما ليسا بدرجة شديدة جدًّا، لذا أجاز المولى لنا في ترك المستحب، أو فعل المكروه.

وعلى هذا الأساس نعرف أنَّ الواجبات والمحرَّمات هما من أبرز أهم الأحكام الربانية في عالم التشريع، وحيث تحدثنا سابقًا عن المحرَّمات، فقد بقي علينا الحديث عن الواجبات، فنقول:

الواجبات هي محل اهتمام المولى أكثر من غيرها، حيث من خلالها ينال الإنسان المصالح الشديدة الكامنة في تلك الواجبات، وعليه يكون الأجر والثواب فيه أجزل وأوفر لما تحتوي الواجبات من ملاكات شديدة غير متحققة في غيرها من الأحكام كالمستحبات والسنن، لهذا تكون خارطة طريق اغتنام العمر لا بدَّ وأنْ تبدأ منها.

فعلى المريد لاغتنام عمره المتبقي أن لا يفوِّت حكمًا وجوبيًّا واحدًا على نفسه، ويقضي ما يجب قضاؤه ممَّا فاته، تحصيلًا ونيلًا لتلك المصالح الكامنة في قضائها.

واعلـم أنَّ الاستخفـاف بالواجبات استخفافًـا بالعمر الإنسـاني بأعلى درجـات الاستخفـاف والاستهتـار به، ونصيـب المستخف بها النـار الحامية دون شـكٍ أو ريب، إذ أنَّ معيار إيمـان وعدالة الإنسان بالمنظـور الشَّرعيّ متوقف على انضباطـه بالأحـكام الشرعية الالزاميَّة - الوجوب والحرمـة -، أو عدم التزامه، فالمؤمن العدل مَن يلتزم بها، والفاسق هو الذي لا يلتزم بتلك الاحكام.

ومـن هنا، علينا شحذ الهمم؛ لامتثـال وطاعة جميع الواجبات الشرعية الفعلية علينا، وبهذا السبيل نرجو حسن العاقبة والفوز بجنان الخلد.

ويمكنـك الاستفـادة مما ذكرنـاه من روايـات في بحث «**تـرك الأهم والانشـغال بالمهـم**»، مـن الصورة الثالثة منه؛ لمعرفة أهمية فعل الواجبات وقيمة الالتزام بها؛ لتحريك الهمة نحوها.

اجنِ من المباحات الأجر والثَّواب

الطَّريقــة الثَّانيــة والمفيــدة؛ لاغتنام أعمارنــا المتبقية، هــي السَّعي قدر المستطاع من استثمار فرص المباحات لجني مزيد من الأجر والثواب، وتظهر قيمة هــذه الفكــرة حينما ننظر إلى الكم الهائــل من الساعات التــي نقضيها في أيامنا ولياليــنا في المباحــات الأوليــة كالأكل والشرب والنوم، والأحاديــث الجانبية وغير ذلك، وكم هذه الساعات تتحول إلى سنين من أعمارنا في نهاية المطاف.

فمثلًا: لــو حسبنا ساعات عباداتنا اليومية، فقلنــا: إن صلواتنا الخمس وقراءتنــا للقرآن الكــريم، وبعض الأدعية وأمور أخــرى عبادية تستغرق منَّا ثلاث إلى أربــع ساعــات يوميًّا، وهذا أقصــى طاعتنا لله رب العالمــين في اليوم الواحد، فتكــون نتيجتها تتراوح بين خمس سنوات ونصــف إلى سبع سنوات ونصف عبادة تقريبًا، بدءًا من سنِّ تكليف الرجل فيما لوعاش ستِّين سنة.

في حين يمكننا أن نجعل كلَّ أو أغلب ساعات أعمارنا بدءًا من سنِّ البلوغ إلى الممات – أي خمس وأربعين سنة – طاعة لله وطريقًا لوصاله، فنكون من أفضل المستثمرين لأعمارنا، حيث صيرنا العمر كله أو اغلبه في طاعة الله تعالى.

وطريقــة ذلك: أنْ نضيف إلى أعمالنــا المباحة من الأكل والشرب والنوم والعمل وغير ذلــك نية راجحة شرعًا، ونتقرَّب بهذه النِّيَّة الرَّاجحة لله تعالى حين القيام بالمباح.

نعــم، فمن خلال إضافــة نكهة العبادية للمباحات تنــال الأجر والثَّواب، فتضــم نيــة حسنة شرعية إلى المباح الذي تريد القيام به، فمثلًا تنوي حين القيام

بـأيِّ مباح من المباحات، فتقـول ناويًا: إلهي، سوف أخلد للنـوم لا من أجل النوم، ولكـن من أجل أن أتقوَّى بـه على طاعتك وامتثال أوامرك، ولكـي أستطيع القيام نشيطًا؛ للسعي في كدِّ العيش الحلال لعيالي وبالنحو الذي تحبُّه، فيكون نومك هذا طريقًـا؛ كي تـثـاب عليه، وأيضا تقوم بهذه العمليـة القصدية في الأكل والشُّرب، و...إلخ، فتنوي بها سبيلًا للتَّقوي، وللقيام بما ينبغي القيام به من خدمة المؤمنين، والتَّعلُّم، وقراءة القرآن الكـريم، والأدعية المأثورة، وغير ذلك، وحتى الجلوس مع الإخـوة والإنس بمجالستهم تنـوى أنَّها لله تعالى، وكـذا في استحباب التزاور بين المؤمنـين، وغـير ذلك مـن النِّيَّات، فتثاب مـع كلِّ فعل مباح لأنَّـك أضفت عليه ما تستحـقُّ بـه الأجر والثواب، وما هذا إلا مظهر مـن مظاهر عظيم لطف الله ﷻ على العباد.

وقـد نصَّت النصوص الشرعيَّة على ذلك، ورغَّب الشَّارع أيَّما ترغيب في الأمر، وإليك بعض تلك النصوص الدالة على ذلك:

١. عـن رسـول الله ﷺ: «يا أبا ذر؛ ليكن لـك في كلِّ شيئ نيَّة صالحة حتى في النَّوم والأكل».[١]

٢. عـن الإمام زيـن العابدين عليه السلام - في الاشتياق إلى طلـب المغفرة - : «اللَّهمَّ، فصلِّ على محمَّد وآله، واجعل همسات قلوبنا، وحركات أعضائنا، ولمحات أعيننا، ولهجات ألسنتنا ... في موجبات ثوابك، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها جزاءك، ولا تبقى لنا سيئة نستوجب بها عقابك».[٢]

---

١. مكارم الأخلاق، الشيخ الطوسي، ص٤٦٤.

٢. الصحيفة السجادية، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، دعاؤه في «اللجوء الى الله تعالى»، ص٦١.

٣. عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «لا بدَّ للعبد من خالص النِّيَّة في كلِّ حركة وسكون، لأنَّه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلًا».[١]

وهناك نحوٌ آخر تستطيع نيل الثواب عليه وهو يسير جدًّا، ألا وهو إضافة عنوان أو عناوين أخرى محبوبة لله تعالى للفعل الواحد الذي تريد القيام به، مع نيَّة صادقة حقيقيَّة، فمثلًا حينما تذهب للمسجد؛ لإقامة الصلاة فهو في نفسه مطلوب شرعًا، وتثاب عليه، ولكن يمكنك أيضًا حينما تذهب لصلاة الجماعة تضيف على النِّيَّة السابقة أنَّك تسعى لقضاء حوائج المؤمنين المصلِّين في المسجد، والتنفيس عن كُرَبِهم إنْ استطعت، فتثاب هنا على أمرين: الصَّلاة، ونية قضاء حوائج المؤمنين، ويمكنك - أيضًا - إضافة مجموعة من النِّيَّات الرَّاجحة، فيزداد أجرك على هذه النِّيَّات، فتقصد مثلًا بتطيبك علاوة على استحبابه للصَّلاة أنْ تكون سببًا لارتياح المؤمنين الذين هم بقربك لشمهم منك روائح طيبة تروِّح عن أنفسهم ولو بعض اللحظات المعدودة التي يقضيها بجانبك، وهكذا يمكنك أنْ تفتح لنفسك أبواب الخير بعملٍ واحد، ونيَّة طيِّبة صادقة، فترتقي كمًّا وكيفًا في العمل.

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٧،ح٣٢، ص٢١٠.

ليكن خيارك الأكمل والأتم

جاء في مستهلِّ دعاء في مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام: «وانتهِ بنيّتي إلى أحسن النِّيَّات، وبعملي إلى أحسن الأعمال، اللَّهمَّ وفِّر بلطفك نيَّتي».[1]

وحديثنا في هذا المحور حول جانب من جوانب قوله عليه السلام: «وبعملي إلى أحسن الأعمال».

فالمطلوب لدى الأولياء والصَّالحين والصِّدِّيقين هو السَّعي والرَّغبة الأكيدة لبلوغ أحسن الأعمال، وأفضلها، وفي هذا الصَّدد نقول:

هناك الكثير من الأعمال مطلوبة، ولكنَّ نوع ودرجة مطلوبيَّتها متفاوتة في الشِّدة والضعف، وقد وقع الطلب المولوي على كلِّ هذه المراتب من العمل، وينبغي للمؤمن أنْ يختيار الأكمل والأتم من صور المطلوب، ولم يلزمنا المولى بها؛ كي يبقى العبد في سعة من أمره، وعدم إيقاعه في الحرج أو المشقة في بعضها الآخر، فمثلًا الصَّلاة في نفسها مطلوبة، ولكن رغَّبنا الشَّارع بالتَّطيُّب حينما نريد إقامة الصَّلاة، كما حثَّنا أيضًا على السواك حينها، وبالخشوع فيها، وأدائها في المسجد، وأفضل المساجد الجوامع، والأكمل الصور المتقدة أن تأتي بها جماعة، وهكذا.

فهذه كلها صور مطلوبه للصَّلاة، ولكلِّ واحد من تلك الآداب المطلوبة

---

١. الصحيفة السجادية، للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، دعاؤه في «مكارم الأخلاق»، ص٩٩.

عطـاء ربانيًّا، فلا بـدَّ للإنسان الرشيد ذي الهمَّة العاليـة أنْ يختار قدر المستطاع أكمل صورة للمطلـوب وأعلاها فضلًا؛ لينال من ذلك العطاء الأوفر والأجزل من لدن اللَّطيف الرَّحيم.

وهـذا البحـث - بحث تعدُّد المطلـوب كما يسمِّيه الفقهـاء والأصوليون- بحـث شريف، ويمكننا تطبيقه في كثير من المـوارد الشرعيَّة، فنفوز بعظيم الأجر والثـواب، وتكون فرصتنـا للسَّعادة الأبديَّة أكثر وأوكد، ولكـي نعي كمال ودور هذا السلـوك في الأجر والثـواب نطبقه عمليًّا علـى مثال الصـلاة المتقدمة، ونلاحظ أجرها الشرعـي مع كلِّ مطلوب نسعى؛ لتحقيقة وتجسيـده خارجًا، وإليك نماذج ثلاثةٍ بغية الاختصار:

١. فضـل صلاة المتطيِّب: عن أبي عبد الله عليه السلام: «صلاة متطيِّب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب».[١]

٢. فضل الصَّلاة بسواك: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك».[٢]

٣. فضـل المشـي للمسجد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَن مشى إلى مسجد من مساجد الله، فله بكلِّ خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات».[٣]

١. الكافي، الشيخ الكليني ج٦، ح٧، ص٥١١.
٢. بحارالأنوار، العلامة المجلسي ج٧٣،ح٣٤، ص١٣٣.
٣. بحارالأنوار، العلامة المجلسي ج٨٠،ح٢٥، ص٣٦٨.

اختيارات نوعيَّة من الأعمال

هنـاك بعض الأعمال مـن الآداب والسُّـنن الشَّرعيَّة لها مزيـة متميِّزة مـن الأجـر والعطـاء الإلهيِّين في جهات عـدَّة، فينبغي للمؤمن اغتنـام بعض هذه الأعمـال اليسيرة والسهلـة، والمواظبة عليهـا؛ لتأثيرها المباشـر في سجل اغتنام العمر ولحظاته، ومن جملة تلك الأعمال المواظبة على الطَّهارة، والتختم باليمين، وغيرهما كثير.

فعلـى سبيل المثال، فإنَّنا نلاحظ أنَّ الأجـر الرباني قبال هذين الأمرين يستمـر باستمـرار التَّلبُّس بهمـا، فالمتوضِّئ - مثـلاً - ما دام علـى الوضوء، ولم ينقضـه، فإنَّـه في طاعة والملائكة يكتبون له الأجر مـا لم يحدث وينتقض وضوؤُه، وكذلك الأمر بالنسبة للتختم فإنَّه من جملة المستحبَّات الشرعية وهو من علامات المؤمـن كمـا في بعض الأخبـار[1]، فما دام العبـد ملتزمًا بالتختُّـم، فهو في طاعة لامتثالـه سُنَّةً مـن سنن النَّبيِّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لذا يستحقُّ نيـل الثَّواب عليه مع كلِّ لحظـة لحظة تمـرُّ عليه وهو متختم بالخـاتم، حيث كان بامكانـه نزع الخاتم ولم ينزعه حبًّا منه؛ للاقتداء بسيرة النَّبيِّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وسنَّته.

وهناك نموذج آخـر لعنوان حديثنا يمكنك الاستفـادة منه؛ للإكثار من الأجـر والثـواب، وهو من جملة الأعمـال الخفيفة على اللِّسـان وثقيلة في الميزان، وذلـك كبعض الأذكار والأوراد الواردة، فتملأ بها وقـت فراغك، فتثقل به ميزان حسناتك، إليك ثلاثة نماذج؛ من أجل الترغيب في ذلك:

---

١. فقد ورد عن مولانا الحسن بن علي العسكري (صلوات الله عليه) أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم». إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج٣، ص١٠٠.

١- الإقرار بالتَّوحيد من أفضل الأعمال

عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «مَن قال لا إله إلَّا الله مِائة مرَّة كان أفضل النَّاس ذلك اليوم عملًا إلَّا مَن زاد».[١]

٢- الصَّلاة على محمَّد والآل طريق لنيل الفيوضات

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لعليٍّ عليه السلام: ألا أبشِّرك؟

فقال عليه السلام: بلى، بأبي أنت وأمِّي، فإنِّك لم تزل مبشِّرًا بكلِّ خير.

فقال صلى الله عليه وآله: أَخْبَرَني جبرئيل آنفًا بالعجب.

فقال له عليه السلام: وما الذي أخبرك يا رسول الله؟!

قال صلى الله عليه وآله: أخبرني أنَّ الرَّجل من أمَّتي إذا صلَّى عليَّ، وأتبع الصَّلاة على أهل بيتي فتحت له أبواب السَّماء، وصَلَّت عليه الملائكة سبعين صلاة، وانَّه لمذنب وخاطئ، ثم تحاتُّ عنه الذُّنوب كما يتحاتُّ الورق من الشَّجر، ويقول: الله عزَّ وجلَّ: لبَّيك عبدي وسعديك.

ويقول لملائكته: يا ملائكتي، أنتم تصلُّون عليه سبعين صلاة وأنا أصلِّي عليه سبع مئة صلاة، وإذا صلَّى عليَّ، ولا يتبع بالصَّلاة على أهل بيتي كان بينه وبين السَّماء سبعين حجابًا، ويقول الله (جلَّ جلاله): لا لبيَّك، ولا سعديك.

يا ملائكتي، لا تصعدوا دعاه إلَّا أنْ يُلحق بنبيِّي عترتَه، فلا يزال محجوبًا حتَّى يلحق بي أهل بيتي».[٢]

---

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٥٧.

٢. روضة الواعظين، ص ٣٢٥.

٣- سورة التَّوحيد من كنوز النَّشأتين

فضل الإكثار والإدمان على قراءة سورة التَّوحيد: عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدع أنْ يقرأ في دبر الفريضة بـ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[١]، فإنَّه مَن قرأها جمع الله له خير الدنيا والآخرة، وغفر الله له، ولوالديه، وما ولد».[٢]

وروي أنَّ النَّبـيَّ صلى الله عليه وآله صلَّـى على سعـد بن معاذ، فقال: «لقـد وافى من الملائكة تسعون ألف ملك وفيهم جبرئيل عليه السلام يصلُّون عليه.

فقلت له يا جبرئيل، بما استحقَّ صلاتك عليه؟

فقـال: بقراءة ﴿قُلْ هُـوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[٣] قائمًـا، وقاعدًا، وراكبًـا، وماشيًا، وذاهبًا، وجائيًا».[٤]

فلنغتنـم هذه الكنوز ونظائرها من النفحـات الربانية ما دامت الفرصة سانحة، ومنه نطلب التوفيق والسداد؛ للقيام بهذه الآداب والسنن.

١. الإخلاص: ١.
٢. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٢٨.
٣. الإخلاص: ١.
٤. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٢٨.

ليكن عطاؤك مستمرًا وإنْ كنتَ ميتًا!

يتصوَّر البعض أنَّ بانتهاء أجل الإنسان وعمره، ينتهي بذلك زمن الادِّخار في صحيفة أعماله، وتُقفل الصحيفة، وهذا وهمٌ وبعيد عن الصواب.

فهذا الواهم جاهل عن سعة رحمة الله، ولطفه بالعباد، إذ قد ثبت في الشريعة أنَّ الله تعالى بلطف جوده وإحسانه فتح لعبده أبوابًا أخرى يمكنه الاستفادة منها، بحيث يمكنه الاستزادة من رصيد حسناته ومبرَّاته، مع أنَّه ميت مدفون في القبر، فتصله ثمار أعماله فيزداد نعيمًا وخيرًا وهو تحت التراب، رميم العظام، فالعاقل الكيِّس مَن ينتهز هذه الأبواب الرحيمية المفتوحة؛ ليحظى بمزيد اغتنام للخيرات - وسوف نشير إلى بابين بنحوٍ من الإيجاز لتلك الأبواب التي تجسِّد وتظهر مظاهر كرم الله على العباد -، وعليك الاختيار:

الباب الأوَّل: الصَّدقة الجارية

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاث: إلَّا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».[١]

٢- وفي حديث آخر: «سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: رجل غرس نخلًا، أو حفر بئرًا، أو أجرى نهرًا، أو بنى مسجدًا، أو كتب مصحفًا، أو ورث علمًا، أو خلَّف ولدًا صالحًا يستغفر له بعد وفاته».[٢]

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٢، ح٦٥، ص٢٢.

٢. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٤، ح ١٣٩٨٨، ص١٤.

من خلال هذين الحديثين ونظائرهما فَهِمَ الفقهاء (أعزَّهم الله بعزِّه) أنَّـه يمكن للعبـد الاستفادة من كلِّ عملٍ راجـح شرعًا له شأنيَّة الـدَّوام، والبقاء؛ للاستزادة من الثَّواب الإلهي مدَّة بقاء هذا العمل أو ذاك البناء، وكأنَّ هذا العمل يعطـي الإنسان عمرًا إضافيًّا بقدر بقائه واستفادة الخلق منه، وعنونوا هذا العمل بعنوان الصَّدقة الجارية، مستلهمين العنوان ممَّا ورد في الحديث الأول المتقدم.

ولعلَّ وجـه تسمية هذا العمل بالصَّدقة الجارية، هـو لجريان واستمرار عطائـه وخيره، ويدخل في الصَّدقة الجاريـة العناوين المتقدمة في الحديث الثاني المتقدم، وغيرها كبنـاء المدارس، والحوزات، والحسينيَّـات، والمستشفيات، وغير ذلـك، كما لا يجـب الاستقلال بمفردك بعمل من هذا الصنـف، فيكفي المساهمة مـع الآخريـن؛ للقيام بمشـروع خيري؛ لنيل الأجـر والثواب بقـدر مساهمتك فيه وإخلاصك فيه طبعًا.

الباب الثَّاني: ما يطابق الصَّدقة الجارية في الأجر

مـن أبواب اللُّطف الإلهي؛ لاستثمار نتاج الطاعـات إلى ما بعد الموت، بل لعل في بعضهـا يكتب له الأجر إلى يوم القيامه والحشر، وهي مجموعة أمور نشير إلى بعضها؛ لفتح آفاق الفكر في هذا المجال:

١. أنْ تسنَّ سنة حسنة

فعـن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَن سنَّ سنَّـة حسنة عمل بها من بعـده، كان له أجره، ومثـل أجورهم من غـير أنْ ينقص من أجورهم شيئًا، ومَن سـنَّ سنَّة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أنْ ينقص من أوزارهم شيئًا».[1]

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٢٨.

فاسـعَ تمام السَّعي أنْ لا تكـون إلا مرآة للكمال والجمـال الإلهيَّيْنِ في الخلق، ولك في الرَّسـول والأئمة الطاهريـن، ومَن اقتفى آثارهم أسوة وقـدوة، فكلُّ عمل خير سنَّـوه وروَّجوه بين الناس ينالون منه الأجر والثـواب، فكن كذلك مروِّجًا لكلِّ خير بلسانـك، وأفعالك، وأخلاقك، كما أنَّ الحذر كلَّ الحـذر أنْ يتعلم منك إنسان، أو يتأثـر منـك شخص في الجانب السلبي، فعليك كما عليه مـن الوزر والعقاب، كما يستفـاد من الخبر المتقدم، فأوَّل مَن صنـع الخمر - مثلًا - عليه وزر عمله، ووِزر كلِّ شارب خمر إلى يوم القيامة، وهم يتحملون - أيضًا - وزر عملهم.

٢. اغتنم النَّفحات الرَّبانية

ورد عـن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «إنَّ لربكم في أيَّـام دهركم نفحاتٍ، فتعرَّضوا له لعلَّه أنْ يصيبكم نفحة منها، فلا تشقون بعدها أبدًا».[1]

وهـذه النفحـات كثـيرة منها مـا ورد عَنْ أَبِـي عَبْـدِ الله عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَ: «بَيْنَـا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِـينَ عَلَيْهِ السَّلَام قَاعِدٌ ومَعَـه ابْنُه مُحَمَّدٌ إِذْ قَـالَ: يَا مُحَمَّدُ، ائْتِنِـي بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَتَـاه بِه فَصَبَّه بِيَدِه الْيُمْنَـى عَلَى يَدِه الْيُسْرَى، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ طَهُورًا، ولَمْ يَجْعَلْه نَجِسًا.

ثُـمَّ اسْتَنْجَـى، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، حَصِّنْ فَرْجِـي، وأَعِفَّه، واسْتُرْ عَوْرَتِـي، وحَرِّمْهَا عَلَى النَّارِ.

ثُمَّ اسْتَنْشَقَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، لَا تُحَرِّمْ عَلَيَّ رِيحَ الْجَنَّةِ، واجْعَلْنِي مِمَّنْ يَشَمُّ رِيحَهَا، وطِيبَهَا، ورَيْحَانَهَا.

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٨٤، ح٦٤، ص٢٦٧.

ثُـمَّ تَمَضْمَضَ، فَقَالَ: اللَّهُـمَّ، أَنْطِقْ لِسَـانِي بِذِكْـرِكَ، واجْعَلْنِي مِمَّنْ تَرْضَى عَنْه.

ثُـمَّ غَسَـلَ وَجْهَه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، بَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُّ فِيـه الْوُجُوه، ولَا تُسَوِّدْ وَجْهِي يَوْمَ تَبْيَضُّ فِيه الْوُجُوه.

ثُمَّ غَسَلَ يَمِينَه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي، والْخُلْدَ بِيَسَارِي.

ثُـمَّ غَسَلَ شِمَالَـه، فَقَالَ: اللَّهُـمَّ، لَا تُعْطِنِـي كِتَابِي بِشِمَـالِي، ولَا تَجْعَلْهَا مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِي، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ.

ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ، وبَرَكَاتِكَ، وعَفْوِكَ.

ثُمَّ مَسَحَ عَلَى رِجْلَيْه، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيه الأَقْدَامُ، واجْعَلْ سَعْيِي فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي.

ثُـمَّ الْتَفَتَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ تَوَضَّأَ بِمِثْلِ مَا تَوَضَّأْتُ، وقَالَ مِثْـلَ مَـا قُلْتُ خَلَقَ الله لَه مِـنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَـكًا يُقَدِّسُه، ويُسَبِّحُه، ويُكَـبِّرُه، ويُهَلِّلُه، ويَكْتُبُ لَه ثَوَابَ ذَلِكَ».[1]

فإنَّ هذا الخبر الشَّريف، يدلُّ على أمر في غاية الأهمية والرَّوعة، وهو أنَّ العبد مع الالتـزام بالأدعية والأذكار الواردة في هـذه الرِّواية، يكون سببًا للإحاطة الرَّبانيَّة بحيـث يخلق له مـن كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا يُقَدِّسُـه، ويُسَبِّحُه، ويُكَـبِّرُه، ويُهَلِّلُه، ويَكْتُبُ لَه ثَوَابَ ذَلِكَ».

١. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٦.

فكـم هذا لطف عظيـم من ربٍّ عظيم لعبد لئيم، حيـث يريد منه تعالى أنْ يغتنم هذه الفرص؛ لينال السَّعادة في النشأتين، فعلينا الاستفادة من ذلك قدر المستطاع، ومن نظائرها.

المشارطة والمراقبة والمحاسبة

ولتحقيق وتجسيد ما بيناه سابقًا بدرجة عالية وجودة فائقة، لا بدَّ للعبد من المجاهدة من خلال المشارطة والمراقبة والمحاسبة لأقواله، وأفعاله، وحركاته، وسَكَنَاته طيلة أيَّامه المتبقية في الحياة.

ولإيضـاح ذلك وبيانه، نكتفي بنقل ما خطَّـه السَّيِّدُ الإمام الخميني (قدس سره) في كتابه القيِّم «باب جهاد النَّفس»؛ لتطبيقه على ما قلناه سابقًا، حيث قال: «ومن الأمور الضَّرورية للمجاهد: (المشارطة، والمراقبة، والمحاسبة).

فالمشـارِط: هـو الذي يشارط نفسـه في أول يومه على أنْ لا يرتكـب اليوم أيَّ عمل يخالف أوامر الله، ويتَّخذ قرارًا بذلك ويعزم عليه.

وواضح أنَّ ترك ما يخالف أوامر الله ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان بيسر أن يلتزم به، فاعزم، وشارط، وجرِّب، وانظر كيف أنَّ الأمر سهل يسير.

ومـن الممكن أنْ يصوِّر لك إبليس اللعين وجنده أنَّ الأمر صعب وعسير، فأدرك أنَّ هـذه هي من تلبيسات هذا اللعين، فالعنه قلبًا وواقعًا، وأخرج الأوهام الباطلة من قلبك، وجرِّب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدق هذا الأمر.

وبعـد هذه المشارطة عليـك أن تنتقل إلى (المراقبـة)، وكيفيتها: هي أنْ تنتبه طوال فـترة المشارطة إلى عملك وفْقِها، فتعتبر نفسك ملزمًا بالعمل وِفْقَ ما شارطت.

وإذا حصل - لا سمح الله - حديث لنفسك بأنْ ترتكب عملًا مخالفًا لأمر الله، فاعلم أنَّ ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أنْ تتراجع عمَّا اشترطه على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرِّهم، واخرج تلك الوساوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: (إنِّي اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم - وهو يوم واحد - بأيِّ عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو وليُّ نعمتي طول عمري، قد أنعم وتلطَّف عليَّ بالصِّحَّة والسَّلامة والأمن وألطاف أخرى، ولو أنِّي بقيت في خدمته إلى الأبد لما أديت حق واحدة منها، وعليه فليس من اللائق أنْ لا أفي بشرط بسيط كهذا)، وآمل - إنْ شاء الله - أنْ يصرف الشيطان، ويبتعد عنك، وينتصر جنود الرحمن.

والمراقبة لا تتعارض مع أيٍّ مِن أعمالك كالكسب، والسَّفر، والدراسة، فكن على هذه الحال إلى اللَّيل ريثما يحين وقت المحاسبة.

وأما (المحاسبة): فهي أنْ تحاسب نفسك؛ لترى هل أدَّيت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخنْ وليَّ نعمتك في هذه المعاملة الجزئية.

إذا كنت قد وفيت حقًّا، فاشكر الله على هذا التوفيق، وإنْ شاء الله ييسر لك سبحانه التقدم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أنْ يتحول إلى ملكة فيك بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلًا ويسيرًا للغاية، وستحسُّ عندها باللَّذة والإنس في طاعة الله تعالى، وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذَّات، في حين أنَّ هذا العالم ليس هو عالم الجزاء، لكن الجزاء الإلهي يؤثِّر، ويجعلك مستمتعًا وملتذًّا بطاعتك لله، وابتعادك عن المعصية.

وأعلـم أنَّ الله لم يكلفـك ما يشقُّ عليك به، ولم يفرض عليك ما لا طاقة لك به ولا قدرة لك عليه، لكن الشيطان وجنده يصوِّرون لك الأمر وكأنَّه شاق وصعب.

وإذا حدث - لا سمح الله - في أثناء المحاسبة تهاونًا وفتورًا تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله، اطلب العفو منه، واعزم على الوفاء بكلِّ شجاعة بالمشارطة غـدًا، وكنْ على هذا الحال؛ كي يفتح الله تعالى أمامـك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الصراط المستقيم للإنسانية».[1]

١. الأربعون حديثًا، السيد الإمام الخميني (قد سره)، ص ٢٦-٢٧.

مقتضيات زيادة العمر

سؤال يطرح نفسه، هل هناك وسيلة أو سائل لها شأنيَّة واقتضاء - لولا المانع -؛ لاطالة عمر الإنسان في دار الدنيا؛ ليستزيد من عمل الخير؟، أم أن عمر الإنسان محدد من أول الأمر؟

وإذا كان الجواب نعم، فكيف السبيل لتلك المقتضيات عسى الباري سبحانه وتعالى يمنُّ علينا بطيلة العمر حينما نجسد تلك الآليات والوسائل؟

وفي صدد الجواب نقول: إنَّه نعم، هناك جملة من الأعمال لها دور المقتضي والشَّأنية لا العلَّة التَّامة؛ لإطالة العمر، وهو بحث من المباحث العقائدية حيث يبحث في علم الكلام، فمن شاء الوقوف على أدلَّة وبراهين ذلك يرجع إلى الكتب الكلاميَّة[1] - ولا يسعنا أنْ نبحثه في هذا المختصر، لأنَّه خارج عن غرض تأليف هذا الكتاب -، وما يهمنا أنْ نقف على تلك المقتضيات التي لها شأنية استزادة العمر، من خلال ما ورد في الشريعة، وإليك بعض تلك الوسائل:

١. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن كثر عفوه مد في عمره».[2]

٢. وعنه صلى الله عليه وآله: «أكثر من الطَّهور يزد الله في عمرك».[3]

٣. وعنه صلى الله عليه وآله: «مَن سرَّه أنْ يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله، فليصلْ رحمَه».[4]

---

١. هناك بحث قيم في هذا الموضوع بعنوان: «لكل إنسان أجلان موقوف ومحتوم» كتبه أستاذنا الفاضل سماحة الشيخ محمد صنقور البحراني في موقعه حوزة الهدى للدرسات الإسلامية، أرجو مطالعته، فإنه مفيد جدًّا.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٢، ح٧٤ - ح٧٥، ص٣٥٩.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٦٦، ح٨١، ص٣٩٦.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧١، ح٥، ص٨٩.

٤. وعنه صلى الله عليه وآله: «لا يزيد في العمر إلا البر».[١]

٥. عن الإمام عليٍّ عليه السلام: «مَن أراد البقاء – ولا بقاء –، فليباكر الغداء، وليجود الحذاء، وليخفف الرِّداء، وليقل غشيان النساء».[٢]

٦. عن الإمام الباقر عليه السلام: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام، فإنَّ إتيانه يزيد في الرِّزق، ويمد في العمر، ويدفع مدافع السوء».[٣]

٧. عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «مَن حسنت نيته زيد في عمره».[٤]

٨. وعنه عليه السلام: «إنْ أحببت أنْ يزيد الله في عمرك، فسر أبويك».[٥]

٩. وعنه عليه السلام لحنان بن سدير: «يا ميسر، قد حضر أجلك غير مرَّة، ولا مرَّتين، كلُّ ذلك يؤخر الله أجلك لصلتك قرابتك، وإنْ كنت تريد أنْ يزاد في عمرك فبر شيخيك، (يعني أبويه)».[٦]

١٠- عن الإمام الكاظم عليه السلام: «مَن حسن بره بإخوانه، وأهله مدَّ في عمره».[٧]

فيمكنك الاستفادة من هذه الوسائل وغيرها، وتنوي بها القربة لله تعالى، فهي من الاعمال الراجحة شرعًا، على أمل أنْ تنال وتصيب بذلك هدفين بسهم واحد، إطالة العمر إنْ شاء الله تعالى، وثوابه.

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧٤، ح٣، ص١٦٦.
٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٥٩، ح٤٣، ص٢٦٧.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٩٨،ح١٢، ص٤.
٤. ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري ج٦،ح١٣٩٤٢، ص٥٤٦.
٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧١، ح٨٤، ص٨١.
٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٧١، ح٩٦، ص٨٤.
٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج١، ص١٤٠.

الخاتمة

أيُّهـا العزيـز، أرى من المناسب في ختام حديثي معـك في هذا السِّفر أنْ أُلفـتَ عنايتـك لأهميَّة التَّفكر والتَّأمُّـل فيما قلته وذكرته، فقـد تقتضي الضرورة - وأنـت عـازم على التَّغيـير، وتصحيح مسار حياتـك باتِّجاه اغتنـام ما بقي من العمر - إلى مطالعة هذا الكُتيِّب ونظرائه أكثر من مرَّة.

وبنـاء على ما تقدَّم، أُؤكِّدُ لك على حقيقة لا ريب فيها ولا شك، وهي: إنَّ القراءة البعيدة عن إرادة العمل لا تزيد الإنسان إلا حسرة وندامة في النَّشأتين، بل إنَّ الروايات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام لتؤكِّد على أنَّ ذلك من دواعي هيمنة الهـمِّ والغـمِّ على الإنسـان في دار الدنيا قبـل الآخرة، فقـد ورد في نهج البلاغة، قال عليه السلام: «مَن قصَّر في العمل ابتلي بالهمِّ، ولا حاجة للّه فيمن ليس للّه في نفسه وماله نصيب».[1]

وما سبب ذلك إلا لاستشعار الإنسان بالفشل عن تحقيق أهدافه وغاياته، ومن جرَّاء تركه لما يعلم يقينًا بأنَّ الرُّشد والفلاح رهن القيام بالعمل الذي تكاسل عنـه، فارجع أيُّها العزيـز، إلى ماضيك القريب أو البعيد، وانظر وتأمَّل في أسباب هيمنـة الهمِّ عليك في تلك الفترة، فإنِّي على يقين بأنَّك توافقني الرَّأي حينها بأنَّ منشأ ذلك كان العزوف والتكاسل عن القيام بما ينبغي القيام به.

---

١. بحار الأنوار ٧٨/١٩١.

إذًا، السَّبيـل الأوحد لرفع الهمِّ والغمِّ النَّاتجين عن الكسل، هو من خلال القيام بأمرين مهمَّين:

١. تفعيل الإرادة، وشحذ الهِمم فيما نرجو منه الخير والسَّعادة في النشأتين، وذلـك بالسَّعي نحو محاربـة واستئصال لصوص العمـر المتقدمة، فيكفي ما سرقوه من أعمارنا الماضية، وما خسرناه من رؤوس أموالنا بها.

٢. استثمار بذور العمر المتقدمة أيضًا؛ لِجَنْي ثمارها في القريب العاجل - إنْ شاء الله تعالى -، فنعيش البهجة والسرور الدَّائمين، فلا الهمُّ والغمُّ اللذان يفضيان إلى تقاعسنا.

ويكفينـا حافـزًا للقيام بهذيـن الأمرين ما ذكرناه آنفًا مـن عظيم لطف الله تعـالى بنا، فإنَّه ما أنْ يجد سبحانه تلك العزيمة الراسخة فينا لتغيير بوصلة حياتنـا باتِّجاهـه إلَّا ويغـيِّر كلَّ سيئاتنـا الماضيـة إلى حسنـات، فلنقاه دون معصيـة أو ذنب، وكأنَّمـا استثمرنا كلَّ لحظات حياتنا، قـال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَـابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَـدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

وختامًـا: أرجو منك أيُّها الكـريم، أنْ لا تَنْسَنِي من صالح دعائك في خلواتـك؛ كي يوفِّقنـي الباري للعلم والعمل الصَّالـح، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وبدوري سأدعو لكلِّ المؤمنين بذلك لا سيما قرَّاء هذا الكُتيب.

هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

١. الفرقان، آية ٧٠.

والحمد لله رب العالمين.

ولقد تمَّ الانتهاء من هذا الكتاب في يوم ولادة خير البشر رسولنا الكريم محمَّد بن عبدالله ﷺ ، المصادف لـ١٧ ربيع الأوَّل ١٤٣٤هـ.

المصادر والمراجع

الرقم	نوع المصدر أو المرجع
	القرآن الكريم
	الأحاديث والأدعية
١	عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، دار الحديث.
٢	نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش، دار الذخائر، قم - إيران.
٣	الأربعون حديثًا، السيد الإمام الخميني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
٤	ميزان الحكمة، تأليف الشيخ محمد الري شهري، معاصر، الطبعة: الأولى، مطابع ومركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.
٥	مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف الميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السَّلام) لإحياء التراث، الطبعة المحققة الأولى ١٤٠٨ هـ، نشر مؤسسة آل البيت (عليهم السَّلام) لإحياء التراث، بيروت - بيروت.
٦	روضة المتقين في شرح ما لا يحضره الفقيه، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١هـ، تحقيق: نمقه وعلَّق عليه وأشرف على طبعه «السيد حسين الموسوي الكرماني، والشيخ علي پناه الإشتهاردي»، الناشر: بنياد فرهنك إسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.

٧	- بحار الأنوار، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١هـ، الطبعة الثانية المصححة سنة ١٤٠٣هـ، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان. - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثالثة المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٨	عيون الحكم والمواعظ، المؤلف: الشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي، من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.
٩	محاسبة النفس، المؤلف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي، المتوفى: سنة ٩٠٥هـ، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ، المطبعة: نمونه - قم المقدسة، الناشر: مؤسسة قائم آل محمد (عج) - قم المقدسة.
١٠	إقبال الأعمال، السيد رضى الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، المتوفى: سنة٦٦٤ هـ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٦هـ، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.
١١	ثواب الأعمال، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى: سنة ٣٨١هـ، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٨ ش، المطبعة: أمير - قم المقدسة، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.
١٢	مَن لا يحضره الفقيه، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوفى: سنة ٣٨١هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٣	معاني الأخبار، المؤلف: الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى:سنة ٣٨١هـ ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩ هـ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٤	مكارم الأخلاق، المؤلف: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المشتهر بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، المتوفى: سنة ٥٤٨ هـ، الطبعة: السادسة، سنة الطبع: ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م، الناشر: منشورات الشريف الرضي.
١٥	مصباح المتهجد، المؤلف: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المشتهر بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، المتوفى: سنة ٤٦٠ هـ، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
١٦	الأمالي، المؤلف: الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي المشتهر بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي، التوفى: ٤٦٠ هـ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ، المطبعة: الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران.
	الكافي، المؤلف: ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
١٧	الصحيفة السَّجَّاديَّة الكاملة، الإمام زين العابدين عليه السلام، المتوفى سنة ٩٤هـ، خط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني، ١٤٠٤ هـ- ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، طبعة حجرية.
١٨	إرشاد القلوب، الشيخ حسن بن محمد الديلمي، من أعلام القرن الثامن الهجري، تحقيق: مترجم: سيد عباس طباطبائي، الطبعة: السَّادسة، سنة الطبع: تابستان ١٣٨٣ش، المطبعة: دفتر انتشارات إسلامي، الناشر: دفتر انتشارات إسلامى وابسته به جامعهء مدرسين حوزهء علميهء قم.

١٩	الكتاب: روضة الواعظين، المؤلف: الفتال النيسابوري، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم – إيران.
	تاريخ، وشروح وبحوث عامَّة
١	شرح نهج البلاغة، المؤلف: الشيخ ابن ميثم البحراني، توفي: سنة ٦٧٩ هـ، تحقيق: عُني بتصحيحه عدة من الأفاضل، وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، المطبعة: چاپخانه دفتر تبليغات اسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، الحوزة العلمية، قم – ايران.
٢	سيماء الصالحين، الشيخ رضا مختاري، ترجمة الشيخ حسين الكوراني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار البلاغة، بيروت – لبنان.
٣	أنت أيضًا يمكنك النجاح، السَّيِّد هادي المدرسي، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، الناشران: دار العربية للعلوم، بيروت، والمركز الثقافي العربي، المغرب.
٤	قبيلة تغلب، المؤلف: الشيخ علي الكوراني العاملي، وعبد الهادي الربيعي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣١ هـ– ٢٠١٠ م، سلسلة القبائل العربية في العراق.
	معاجم ولغة
١	مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق وفصل وضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع : ١٤٠٤هـ، نشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – إيران.

OlamaaBH OlamaaBH OlamaaBH OlamaaNet

عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

«مَن أحسن فيما بقي من عمره لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومَن أساء فيما بقي من عمره أُخِذَ بالأوَّل والآخر».

الأمالي، الشيخ الطوسي، ح٨، ص١١١.

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:

هاتف: ١٧٥٩٢٦٧٢ مبنى٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ،
فاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ حلة العبد الصالح - مملكة البحرين
الإدارة النسوية: ١٧٥٩٢٦٧٣ البريد الإلكتروني: info@olamaa.net

OlamaaBH OlamaaBH OlamaaBH OlamaaNet